روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

كتيبة الدمار

٩٤



رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - القتلة ..

أسبل (أدهم صبرى) جفنيه ، وترك جسده يسترخى فى مقعده تمامًا ، داخل طائرته الخاصة ، التى تنطلق به إلى ضيعته فى (كيواوا) .. (*) .

كان يشعر بالكثير من التعب والإرهاق ، بعد عمليته الأخيرة فى (تل أبيب) ، التى كانت سببًا فى عودته إلى صفوف المخابرات العامة المصرية ، بقرار مباشر من السيّد (رئيس الجمهورية) ، وكان يحتاج إلى الاسترخاء والنوم ، حتى يستعيد نشاطه وحيويته ، قبل أن يصل إلى مزرعته ، ويبدأ فى تصفية أعماله فى (كيواوا) ، ليعود إلى (القاهرة) ، ويستعيد عمله هناك .. (**) .

وكان من الممكن أن يكون أسعد رجل فى العالم ، فى هذه اللحظة ، بعد أن حقّق انتصارًا مدهشًا ساحقًا على أعدائه ، واستعاد منصبه ، بالإضافة إلى ترقية استثنائية خاصة ، لولا تلك المرارة المؤلمة الدائمة ، التى تثقل كاهله ، وتعتصر قلبه ، منذ اختفت (سونيا جراهام) فجأة ،

(*) راجع قصة (لمسة الشر) .. المغامرة رقم ٨٥
(**) راجع قصة (أرض العدو) .. المغامرة رقم ٩٣

حاملة معها ابنه الوحيد .. (*) .

لم يكن يعلم لحظتها أن (سونيا) قد فرّت إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) ، مع ثروة ضخمة ، جعلتها تمتلك سرًا شركة (الإليكترونيات الكبرى) ، التى تديرها خفية ، بوساطة (تونى بورسالينو) ، الذى يبدو كصاحب الشركة ظاهريًا ، فى نفس الوقت الذى ابتاعت فيه جزيرة صغيرة فى قلب المحيط الأطلنطى ، لتصنع منها مركزًا ومقرًا لمنظمة جاسوسية جديدة ، قرّرت أن تحتل بها نفس المكانة ، التى كانت تحتلها منظمة (سكوربيون) قبل تدميرها التام .. (**) .

ولم يكن يدرك أن شقيقه الوحيد ، الدكتور (أحمد صبرى) ، يعمل فى هذه اللحظة فى نفس الشركة التى تمتلكها (سونيا جراهام) ، وهو يجهل هذا تمامًا .. (***) .

بل لم يكن يدرك ما هو أخطر من هذا وذاك ..

لقد أرسلت (سونيا) خلفه كتيبة من أشرس المقاتلين ،

(*) راجع قصة (خط المواجهة) .. المغامرة رقم ٨٧
(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم ٨٤
(***) راجع قصة (الوحيد الخفى) .. المغامرة رقم ٩١

لاصطياده فى (كيبواوا) ، بقيادة رجل العصابات السابق (أكشن مايكل) ، وأن هذه الكتيبة تنتظره فى هذه اللحظة بالذات فى قلب مزرعته ، التى تم تدميرها عن آخرها ..

كانت فى انتظاره كتيبة (سونيا جراهام)

كتيبة الدمار ..

لقد وصلنا يا سنيور (أميجو)

أيقظت العبارة التى نطقها الطيار فى خفوت (أدهم) من سباته ، فاعتدل جالسًا ، ونفض النعاس عن عقله بسرعة كعادته ، وعدّل رباط عنقه ، وهو يقول :

- أشكرك يا (ماريو) .. من الواضح أنك طيّار متمكّن ، فلم أشعر بأية متاعب طوال الرحلة .

ابتسم (ماريو) وهو يقول :

- لقد استغرقت فى نوم عميق يا سنيور (أميجو) ، وأصدقك القول .. لقد أدهشنى هذا فى البداية ، فطوال العامين السابقين لم أرك تستغرق فى النوم قط ، وزميلى [illegible] هذا أيضًا

قال (أدهم) فى هدوء

- كان العمل شاقًا للغاية هذه المرة يا (ماريو)

أجابه (ماريو) متعاطفًا

- هذا يبدو واضحًا يا سنيور (أميجو) ، فقد فقدت الكثير من وزنك .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ هذا أفضل .

عاد الصمت يخيم عليهما لحظات ، والطائرة تقترب من المزرعة ، ثم قال الطيّار فى ارتياح :

ـ ها هى ذى مزرعتك يا (سنيور) .

ثم أطلق فجأة شهقة قوية ، جعلت عضلات (أدهم) كلها تتحفّز فى آن واحد ، وهو يقول :

ـ ماذا هناك ؟

هتف الطيّار فى انفعال :

ـ المزرعة يا (سنيور) .. يا إلهى !.. إنها .. إنها ..

لم ينتظر (أدهم) حتى يتم الطيّار عبارته ، فانتقل بسرعة إلى المقعد المجاور ، وألقى نظرة على مزرعته ، عبر نافذة الطائرة ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ..

لقد انمحت المزرعة من الوجود ..

القصر تحوّل إلى أطلال محترقة ، والاسطبلات تفحّمت ، وجثث الجياد ملقاة فى كل مكان ، والنسور تحلّق فوق المكان ، وتنقض بين الحين والحين لالتهام بقايا جثث القتلى ، التى تناثرت حول المزرعة المحترقة ..

وامتلأت نفس (أدهم) بالغضب ..

من فعل هذا ؟..

ولماذا ؟..

وهتف الطيّار مذعورًا :

ـ لقد دمّروا كل شىء يا سنيور .. لم تعد هناك مزرعة .. إنها مذبحة .

غمغم (أدهم) فى غضب :

ـ نعم يا (ماريو) .. إنها مذبحة .

سأله (ماريو) فى ارتياع :

ـ ماذا نفعل يا سنيور (أميجو) ؟.. هل نبلغ الشرطة ؟

لم يجب (أدهم) مباشرة ..

إنه يعلم أن الشرطة لن تفيد فى هذا الأمر ..

إنها عملية انتقامية ..

هذا يبدو واضحًا ..

من إذن يمكن أن يلجأ إلى عمل كهذا ؟..

وقفز إلى ذهنه اسم واحد ..

(سونيا جراهام) ..

نعم .. (سونيا) وحدها تعرف من هو ، وتمتلك الرغبة فى تدميره ..

(سونيا) وحدها تفعل هذا ..

، اهبط يا (ماريو) .. ، .

نطق (أدهم) العبارة فى صرامة شديدة ، ارتجف لها (ماريو) ، وهو يبدأ عملية الهبوط على الفور ، مغمغمًا :

- كما تأمر يا سنيور (أميجو) .
انزلقت الطائرة فى خفة ، فوق ممر الهبوط ، حتى استقرّت تمامًا ، وفتح (ماريو) بابها ، وهو يقول :
- تفضّل يا سنيور (أميجو) .. أنا فى انتظار أوامرك ، وإن كنت أقترح أن .. قبل أن يتم عبارته ، انهالت عليه الرصاصات كالمطر ، واخترقت جسده بلا رحمة ، فأطلق شهقة قوية ، ثم سقط من الطائرة جثة هامدة ..

وفى لحظة واحدة ، وعبر فجوات أرضية ، تم إعدادها ببراعة ، وإخفاؤها بساتر من الأعشاب ، برز اثنا عشر رجلًا ، يرتدون ثيابًا مموّهة ، أشبه بثياب رجال القوات الخاصة ، وكل منهم يحمل مدفعًا آليًا قويًا ، وعددًا من القنابل اليدوية ، وأسلحة مختلفة ..
وفى اللحظة التالية ، كانت هذه الدستة من المقاتلين تطلق نيرانها فى غزارة وشراسة ، نحو هدف واحد ..
نحو الطائرة ..
طائرة (أدهم صبرى) ..

* * *

انعقد حاجبا (سونيا جراهام) فى شدة ، وهى تتطلّع إلى (أكشن مايكل) فى صراحة ، وتقول فى غضب :

- ما معنى هذا بالضبط ؟
شعر (مايكل) بقشعريرة تسرى فى جسده ، وهو يقول :
- معنى ماذا يا مسز (أرثر) ؟
صاحت فى وجهه :
- ما معنى وجودك هنا ؟..أليس من المفروض أن تقود فريق الإعدام فى (كيواوا) ؟
أجابها متوترًا :
- هناك قائد للفريق يا سيّدتى ، وهو أقدر منى على قيادة رجاله ، فالتدريبات التى تلقّوها تختلف تمامًا عما أعرفه أنا ، فى حرب الشوارع .
رمقته بنظرة نارية ، وهى تقول :
- أتعنى أنك لم تعد تصلح .
هتف بسرعة :
- لم أقل هذا ، وإنما كنت أعنى ..
قاطعته فى صرامة :
- ارحل إلى (كيواوا) الآن يا (مايكل) .. الآن مباشرة .
ازدرد لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :
- وماذا عن التمويل يا مسز (أرثر) ؟..
أجابته فى صرامة :

- لقد حصلت على مليون دولار بالفعل يا (مايكل) .
سألها فى خفوت :
- هل تبدو لك كافية ؟
صمتت لحظات، وهى تتطلع إليه ، ثم زفرت فى توتر ، قائلة :
- كلا .. ربما يحتاج الأمر إلى ما هو أكثر .
ثم جذبت دفتر شيكاتها ، ودوّنت رقمًا ، ثم ذيّلت الشيك بتوقيعها ، وألقته إلى (مايكل) ، قائلة :
- خذ .. هذه ثلاثة ملايين أخرى .. أريد منك أن تنفق بسخاء ، وتمنح الرجال مكافآت مجزية .. المهم أن يتحقّق الهدف ..
وبرقت عيناها فى وحشية ، وهى تستطرد :
- وحاول ألا تعود إلى هنا ، لو أنك فشلت فى مهمتك ، فلقد أقسمت هذه المرة على الفوز برأس (أميجو صاندو) هذا ، أو ..
وأطلّ الجحيم من عينيها ، وهى تضيف :
- أو رأسك أنت .
وفى هذه المرة لم تسر فى جسد (مايكل) قشعريرة فحسب ..
- بل كانت انتفاضة ..
انتفاضة عنيفة ..

★ ★ ★

خفض (أدهم) رأسه فى سرعة ، مع تلك الرصاصات التى انهمرت كالمطر ، على جسم الطائرة ، وشعر بزجاج النافذة المزدوج يتهشّم مع الرصاصات ، ويتناثر فوقه ، وأدرك أنه كمين محكم للإيقاع به ، والقضاء عليه ، فغمغم فى غضب :
- لقد تجاوزت الحدود حقًا هذه المرة يا (سونيا) .
وبخفة مدهشة ، انتقل من مكانه إلى كابينة القيادة ، ورأى زميل (ماريو) جثة هامدة ، على مقعد مساعد الطيّار ، بعد أن اخترقت الرصاصات زجاج الطائرة الأمامى ، وأصابته فى صدره وقلبه ، فقفز (أدهم) إلى مقعد (ماريو) الخالى ، وهو يقول :
- هيا يا (أدهم) .. حاول أن تثبت لهؤلاء الأوغاد أنك ما زلت قادرًا على قتال كهذا .
رأى عبر النافذة الرجال يندفعون نحوه ، من كل صوب ، ولكنه أدار محرّك الطائرة ، هاتفًا فى حماس :
- انطلقى يا عزيزتى .
انطلقت الرصاصات كلها نحوه ، فانحنى بسرعة ، وجذب المقود ، وهو يقول :
- كل هذا دون أن أمتلك سوى مسدسى .. يا له من قتال متكافئ .

بدأت الطائرة انطلاقها فوق الممـر ، فصاح (برنارد) ، قائد الرجال :

- لا تسمحوا لها بالإقلاع .. انسفوها على الفور .

انتزع كل رجل قنبلة من حزامه ، وألقوها نحو الطائرة فى لحظة واحدة ، فارتطمت خمس قنابل بجسمها ، وسقطت بعيدًا ، وتجاوزتها ثلاث أخر ، أما الاربع الباقيات ، فقد سقطت كلها داخل كابينة القيادة ، تحت قدمى (أدهم) مباشرة ، ولكنه زاد من سرعة الطائرة ، وانحنى بسرعة يلتقطها ، وهو يهتف :

- تُرى هل ..

قبل أن يتمّ عبارته ، كان قد ألقى القنابل الأربع خارج الطائرة ، وصاح (برنارد) فى رجاله :

- يا للشيطان !.. ابتعدوا بسرعة .

وخلف الطائرة ، دوى انفجار دستة من القنابل اليدوية ، وشعر (أدهم) بعدد هائل من الشظايا ، يرتطم بذيل الطائرة وجسمها ، ولكنه زاد من سرعتها أكثر وأكثر ، وهو يقول فى حماس :

- لقد نجونا بمعجزة من هذه القنابل ، ولكن المهم أن نبتعد عن هنا بأقصى سرعة ممكنة .

عاد الرجال ينهالون عليه بالرصاصات مرة أخرى ،

والطائرة تبتعد وتبتعد ، وأحد الرجال يصرخ فى غضب :

- مستحيل !.. إنه سيفلت منا .

صاح به (برنارد) :

- بسبب عدم قدرتكم على تصويب قنابلكم أيها الغبى .

هتف (فيدوك) :

- لقد سقطت أربع قنابل داخل كابينة القيادة .. ماذا نفعل أفضل من هذا ؟

صرخ به (برنارد) :

- أن تطلق النار ، ثم تناقش هذا فيما بعد أيها الغبى .

كانت طائرة (أدهم) قد بدأت ترتفع عن الأرض بالفعل ، ولكن الرجال لم يتوقفوا عن إطلاق رصاصاتهم نحوها ، حتى صرخ (ماثيو) فى حنق :

- لقد هرب .

قالها والطائرة تحلّق عاليًا ، فعقد (برنارد) حاجبيه ، وقال :

- اطمئن .. إنه لن يذهب بعيدًا .

ثم صاح :

- إلى سياراتكم يا رجال .. سنواصل المطاردة .

أسرعوا إلى أربع سيارات من طراز (جيب) ، كانت تختفى تحت شبكات مموّهة ، وقفز كل ثلاثة منهم داخل

واحدة من السيارات ، و (برنارد) يهتف بلهجته الآمرة :

ـ القيادة لى ولـ (فيدوك) ، و (ماثيو) و (روكو) .. هيًا .

انطلقت السيارات الأربع خلف الطائرة ، التى تبتعد بسرعة ، وسأل أحد الرجال (برنارد) فى توتر :

ـ ألا يبتعد بسرعة كبيرة ، تمنعنا من اللحاق به .؟

أجابه (برنارد) فى ثقة :

ـ إنه لن يواصل هذا طويلًا .

سأله الرجل فى دهشة :

ـ ولماذا تثق بهذا هكذا ؟

ابتسم (برنارد) ، وهو يقول :

ـ سترى .

أما (أدهم) ، فقد شعر بالارتياح ، عندما حلقت به الطائرة الصغيرة ، مبتعدة عن المزرعة ، وقال وهو يعبر منطقة جبلية مجاورة :

ـ حسن .. لقد نجونا مؤقتًا .. ولكن ...

بتر عبارته بغتة ، مع تلك القرقعة المخيفة ، التى أصدرتها محركات الطائرة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى مؤشرات الطائرة ، قبل أن يغمغم فى توتر :

ـ إذن فقد أصابوا خزان الوقود .



كانت طائرة (أدهم) قد بدأت ترتفع عن الأرض بالفعل ، ولكن الرجال لم يتوقفوا عن إطلاق رصاصاتهم نحوها ..

كانت المؤشرات تشير إلى نفاد الوقود تمامًا ، وتوقفت المحركات نهائيًا ، وبدأت الطائرة الصغيرة مرحلة هبوط اضطرارى مخيف ..

فوق جبال (كيواوا)

★ ★ ★



٢ ـ الجبال ..

« أراهن أنك تحلمين بـ (أدهم صبرى) .. » .

فتحت (منى توفيق) عينيها فى سرعة ، وهى تعتدل جالسة فى توتر ، وحدقت لحظة فى وجه (قدرى) ، الذى نطق العبارة السابقة ، قبل أن تهتف :

ـ (قدرى) .. لقد أفزعتنى .

ابتسم فى حنان ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!.. هل أفزعتك أم انتزعتك من أحلامك ؟

ابتسمت بدورها ، وهى تقول :

ـ الاثنان معًا .

سألها ، وهو يغمز بعينه :

ـ أكان (أدهم صبرى) ؟

أومأت برأسها إيجابًا فى خجل ، ثم أضافت فى سرعة :

ـ ولكنه لم يكن حلمًا رومانسيًا كما تتصوّر .

وتراجعت مستطردة فى خفوت :

ـ كان كابوسًا .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يجذب مقعدًا ليجلس أمامها ، قائلًا :

ـ إلى هذا الحد .

التقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تقول :

- نعم .. لقد رأيته فى مأزق رهيب ، و ...
لاحظت أن (قدرى) يتطلّع فى اهتمام ، عبر فرجة الباب ، إلى ممر الإدارة ، فبترت عبارتها لتسأله :
- ماذا هناك ؟ ..
أشار بسبّابته إلى الخارج ، وهو يتمتم :
- إنه أحد زملائنا ، ويبدو أن ...
وتوقّف لحظة ، ثم التفت إليها ، وابتسم فى ارتباك ، وهو يقول :
- ويبدو أننى صرت كثير الشكوك .
ضحكت ، قائلة :
- هذا جزء من طبيعة مهنتنا ، فالإسراف فى الشك أفضل من الإسراف فى الثقة .
ابتسم ، وهو يقول :
- إنها عبارة (حسام) المفضّلة :
تراجعت فى مقعدها ، قائلة :
- (حسام حمدى) ؟! أين هو ؟.. إننى لم أره منذ فترة .
أجابها بسرعة :
- فى (هونج كونج) .. لقد أرسله سيادة المدير فى مهمة خاصة هناك .
وهزّ رأسه ، وهو يبتسم مستطردًا :

- رائع هو (حسام) هذا .. إننى أتوقّع له مستقبلًا مرموقًا هنا .. إنه خليفة (أدهم صبرى) بلا جدال .
ابتسمت ، قائلة :
- لا يوجد مثيل لـ (أدهم صبرى) .
أطلق ضحكة صافية ، وقال :
- ومن يتوقّع منك قولًا مخالفًا ؟!
تضرّجت وجنتاها بحمرة الخجل ، ولكنه تابع فى سرعة ، ليزيل عنها حرجها :
- المهم .. ما الذى حمله كابوسك ، بشأن (أدهم) ؟
التقطت نفسًا عميقًا آخر ، وقالت :
- آه .. لقد رأيته داخل فجوة عميقة ، وتحيط به عقارب سوداء ضخمة ، وبينها أفعى رهيبة ، برزت أنيابها ، و ...
بتر عبارتها مرة أخرى ، عندما عاد يحدّق فى الممر ، عبر فرجة الباب ، وامتزج اهتمامه هذه المرة بانعقاد حاجبيه فى شدة ، ممّا أثار قلقها بالفعل ، فاعتدلت تسأله :
- ماذا هناك بالضبط يا (قدرى) ؟
غمغم وهو ينهض من مقعده :
- هذا الرجل ، ليس من حقه أن ..
وقبل أن يتمّ عبارته ، كان يندفع خارج الحجرة ، ويصيح فى حدة :

- انتظر يا هذا .. ألديك تصريح بدخول حجرة الـ ...

وانتفض جسد (منى) فى عنف ..

لقد انقطعت عبارة (قدرى) بصوت رصاصات مكتومة ، تنطلق من فوهة مسدس مزوّد بكاتم للصوت ، ثم أعقبها وقع أقدام تعدو مبتعدة ، فوثبت (منى) من مقعدها ، واستلّت مسدسها ، وانطلقت خارج الحجرة ، ولكنها ارتطمت بجسد ملقى أرضًا ..

جسد (قدرى) ، والدماء تنزف من صدره ..

وصرخت (منى) :

- لقد قتلوا (قدرى) .. قتلوه .

ودوى صوتها فى أروقة الإدارة ، وهو يحمل كل انفعالها ..

وكل لوعتها ..

* * *

توقفت محركات الطائرة الصغيرة تمامًا ، وراحت تنزلق نحو سلسلة الجبال ، على مشارف (كيواوا) ، فغمغم (أدهم) فى سخرية :

- هذا ما كان ينقصنى .

كانت الطائرة بتوقف محركاتها ، قد تحولت إلى طائرة شراعية ، مثل طائرات التدريب ، ولكنها أثقل وزنا ، وأقل

قدرة على المناورة ، إلا أن (أدهم) أمسك المقود فى إحكام ، وتجاهل الهواء البارد ، الذى يرتطم بوجهه ، عبر النوافذ الأمامية المحطمة ، وهو ينحنى بالطائرة ، محاولًا البحث عن مكان يصلح لهبوط اضطرارى ..

ولكن المنطقة كلها لم تكن تصلح لهذا ؛ فهى تنقسم إلى قسم جبلى ، تبرز الصخور الحادة من كل ركن فيه ، ووادٍ انتشرت فيه الأحجار ، فوق أرض وعرة محطمة ..

ثم إنه لم يكن هناك وقت طويل للاختيار ؛ فالطائرة تتجه حتمًا إلى أسفل ، حتى وإن امتلك (أدهم) قدرة محدودة على المناورة بها ..

ولم يكن من الممكن أيضًا استخدام مظلة الهبوط ؛ التى لن تجد الوقت الكافى لتبدأ عملها ، مع قرب الطائرة من الأرض ، كما أن هذه الدستة من الأوغاد تنتظر وصول (أدهم) إلى الأرض بفارغ الصبر ..

الفرصة الوحيدة للنجاة إذن ، كانت تكمن فى وسيلة غير تقليدية ، تتم فى رعاية الله (سبحانه وتعالى) ، وبدقة لا يتميز بها سوى رجل واحد ..

(أدهم صبرى) :

وفى حسم ، مال (أدهم) بالطائرة نحو الجبال ، وهو يقول ساخرًا :

- هيا يا (أدهم) .. إنها فرصتك الوحيدة .. ركز أفكارك يا رجل .

قالها وهو يقترب من قمة أحد الجبال ، وحمل مظلة من مظلات الهبوط ، وهو يراقب تلك المساحة المنبسطة الضيقة عند القمة ، مستطردًا :

- وداعًا يا طائرتى العزيزة .. حان الوقت لنفترق هذه المرة إلى الأبد .

ثم ترك مقعد القيادة ، وعاد أدراجه فى سرعة إلى الباب المفتوح ، وهتف :

- وداعًا .

ووثب عبر الباب ..

ولثوان ، راح جسده يسبح فى الهواء ، متجهًا إلى قمة الجبل ، فى حين واصلت الطائرة اندفاعها ، منطلقةً نحو الجبال الأخرى ..

واقتربت قمةَ الجبل فى سرعة ، فجذب (أدهم) حبل المظلّة ، وهو يهتف فى حسم :

- الآن .

وانفتحت المظلة ، ولم يكد حجمها يكتمل ، حتى لامست قدماه القمة ..

وانزلق جسد (أدهم) فوق القمة الضيقة ، وخففت

المظلّة المفتوحة من سرعة انزلاقه كثيرًا ، مع مقاومتها للهواء ، حتى تشبّث ببعض الصخور البارزة ، ثم حلّ حزام المظلة ، وهو يقول :

- وداعًا أنت أيضًا يا مظلّتى .. لقد أديت عملك على خير وجه ..

واندفعت المظلّة وحدها ، وتجاوزت القمة ، ثم هوت من أعلى الجبل ، وتركته يلقى جسده فوق القمة ، هاتفًا فى ارتياع :

حمدًا لله .. لقد نجحت فى هذه المرحلة يا (أدهم) .

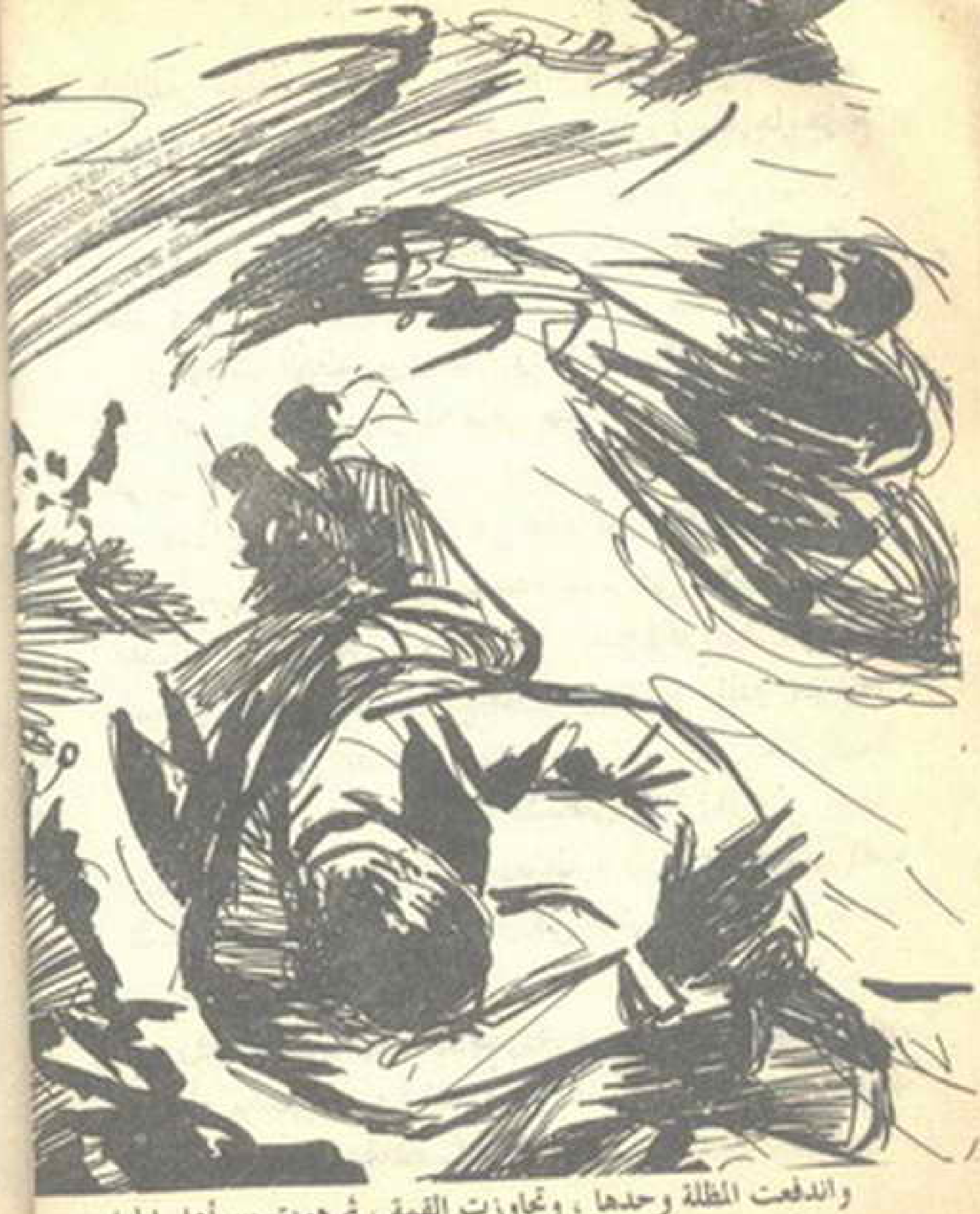
وأسبل جفنيه ، وترك جسده يسترخى بعض الوقت ، بعد كل هذا الانفعال .. ومن بعيد ، لمح (برنارد) وفريقه المظلّة ، وهى تهوى من الجبل ، وهتف (ماثيو) ، وهو يشير إليها فى غضب :

- اللعنة .. لقد نجا ذلك الشيطان مرة أخرى .

رفع (برنارد) بسرعة منظاره إلى عينيه ، وراقب المظلّة مع هبوطها ، ثم قال فى توتر :

- إنها مظلّة خالية .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوى انفجار الطائرة ، وهى ترتطم بالجبال ، وارتفع وهج النيران من بعيد ، فوثب (فيدوك) من مقعده ، هاتفًا :



واندفعت المظلة وحدها ، وتجاوزت القمة ، ثم هوت من أعلى الجبل ، وتركته يلقى جسده فوق القمة ..

- انتصرنا .. لقد انتهى ذلك الرجل .

ولكن (برنارد) أشار إلى السيارات الأربع ، فتوقفت كلها في آن واحد ، والتفت رجاله كلهم إليه ، ينتظرون ما سيدلى به ، إلا أنه عاد يرفع منظاره المقرّب إلى عينيه ، ويفحص منطقة الجبال في اهتمام وعناية ، قبل أن يخفض المنظار ، و يعقد حاجبيه في شدة ، ويستغرق في تفكير عميق ، جعل (روكو) يغادر سيارته ، ويقترب منه ليسأله :

- ماذا هناك ؟

تطلّع إليه (برنارد) لحظة في صمت ، قبل أن يجيب في شيء من التوتر :

- إنني أحاول ربط الأمور كلها برباط منطقي واحد ..

غمغم (روكو) في حيرة :

- رباط منطقي ؟!

أجابه (برنارد) ، وهو يتطلع في اهتمام إلى الجبال ، وكأنه يتحدّث مع نفسه :

- نعم .. رباط منطقي .. إنني أسأل نفسي : لماذا لم يكتفوا بإرسال قاتل محترف ، للقضاء على هذا الرجل ؟.. لماذا أرسلوا كتيبة كاملة ، لتحقيق هذا الغرض ؟.. ألا يعني هذا أن الرجل شديد الأهمية ، وشديد الخطورة أيضًا ؟!..

ثم إننا رأينا بأنفسنا كيف يعمل .. إننى لم أر فى حياتى كلها رجلًا استطاع التقاط أربع قنابل يدوية ، وإبعادها عنه قبل أن تنفجر ، مثلما فعل ذلك الشيطان منذ قليل .. بل الأدهى أنه فعلها فى خفة وبساطة ، وكأنه مجرّد أمر عادى بسيط ، يفعله كل يوم .. فما الذى يعنيه هذا ؟

هرش (روكو) رأسه ، وهو يتمتم :

- ما الذى يعنيه ؟

أجابه (ماثيو) من خلفه :

- يعنى أن هذا الرجل تلقّى تدريبات مدهشة ، ربما تفوق ما تلقيناه جميعًا فى هذا الشأن .

أتى (فيدوك) بدوره ، قائلًا :

- ولكنه مجرّد مليونير مكسيكى مدلل ، و ...

قاطعه (برنارد) فى صرامة :

- وهل بدا لك كذلك ؟

ارتبك (فيدوك) ، وهزّ كتفيه ، قائلًا :

- لقد كان محظوظًا ، بالنسبة للطائرة ، ولكن ..

قاطعه (برنارد) مرة أخرى :

- كفى عبثًا .. إننا لن ننجح فى تنفيذ المهمة ، لو أننا قصرنا تفكيرنا على هذا الأسلوب السخيف .. لابد أن نعترف بالواقع .. إننا نواجه شيطانًا مريدًا ، يحتاج إلى كل قوتنا وطاقتنا ، للتغلّب عليه وتدميره .

أشار (روكو) إلى الجبال ، وقال :

- ولكنه لقى مصرعه بالفعل .. ألم تر ذلك الانفجار ؟

هزّ (برنارد) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلّا .. إنه لم يمت مع الانفجار .. لقد رأينا المظلة قبل هذا .

هتف (ماثيو) :

- لقد قلت : إنها مظلة خالية .

أجابه (برنارد) فى حدة :

- ولكنه استخدمها حتمًا .

ثم أشار إلى الجبال ، واستطرد فى صرامة :

- وأراهن بألف دولار أنه الآن هناك .. فوق قمة هذا الجبل ، الذى هوت منه المظلة .. وعلينا أن نحاصره هناك ، ثم ..

وبرقت عيناه فى شراسة ، وهو يفرقع إصبعيه ، مضيفًا فى حزم :

ثم نسحقه سحقًا .

وانتقل بريق عينيه إلى عيون مساعديه الثلاثة .. ثم إلى الكتيبة كلها ..

كتيبة الدمار ..

★ ★ ★

تطلّع (أدهم) فى اهتمام ، من قمة الجبل ، إلى السيارات الأربع التى تقترب منه فى سرعة ، وارتسمت على طرف شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يغمغم :

- ها هى ذى زبانية الجحيم ، تهرع إليك يا (أدهم) .

والتقط مسدسه من جيب سترته ، وفحص خزانته ، ثم أضاف متهكمًا :

- أربع رصاصات ، لمواجهة كتيبة كاملة .. يا له من موقف عادل !

مال مرة أخرى يراقب السيارات الأربع ، وهو يحدّث نفسه ، قائلًا :

- أربع سيارات ، وثلاثة رجال فى كل سيارة .. عظيم .. إنك ستواجه دستة من الأشرار بأربع رصاصات فحسب يا (أدهم) .. تُرى هل يمكنك أن تحصد كل ثلاثة منهم برصاصة واحدة؟!

ومع نهاية عبارته ، رأى السيارات الأربع تتوقف ، عند قاعدة الجبل ، الذى يختفى فوقه ، ويهبط منها ثمانية رجال ، فى حين بقى سائق كل سيارة داخلها ، وهو يحمل مدفعه الآلى ، ورأى (أدهم) الرجال الثمانية ينتشرون حول الجبل ، بتوجيهات قائدهم (برنارد) ، فتمتم فى اهتمام هذه المرة :

- إنهم مدرّبون على نحو جيد ، إلى حد ما ، ومن الواضح أن خمسة منهم على الأقل محترفون ، أو سبق لهم القتال فى ظروف مماثلة .

التقى حاجباه ، وهو يدرس موقفه ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى خبث ، وهزّ كتفيه ، قائلًا :

- فليكن .. الحرب خدعة .

وجذب خزانة مسدسه ، والتقط منها رصاصتين ، ثم أسرع يجمع بعض الأغصان الجافة من حوله ، وهبط فى خفة إلى جهة الشرق ، ووضع إحدى الرصاصتين فوق صخرة صغيرة ، وأحاطها ببعض الأعشاب الجافة ، ثم مدّ جزءًا من الأعشاب لمسافة نصف المتر ، والتقط حجرين صغيرين ، وهو يقول :

- الأشرار لا يستحقون سوى النار .

وفى مهارة ، ضرب الحجرين ببعضهما ، حتى التقطت الأعشاب الجافة الشرارة الناشئة ، وراحت النيران تشتعل فيها ببطء ، وتتجه نحو الرصاصة ..

وعلى مسافة متر واحد ، كرّر (أدهم) ما فعله ، ثم تطلّع إلى أسفل ، حيث يصعد (ماثيو) مع رجلين آخرين ، وقال ساخرًا :

- والآن .. تبدأ المعركة .

وصوّب مسدسه نحو أحد الرجلين، وأطلق رصاصته الثالثة...

وأصابت الرصاصة الرجل فى فخذه ، فأطلق صرخة ألم ، وسقط أرضًا ، فى حين رفع (ماثيو) والرجل الآخر مدفعيهما الآليين ، وراحا يمطران المنطقة التى أتت منها الرصاصة بنيرانهما ، و (ماثيو) يصرخ بكل قوته :

- إلىّ يا رجال .. لقد عثرنا عليه .. إلىّ يا رجال .

ودوى صوت الرصاصة الثانية بالقرب من القمة ، من ناحية الشرق ، فهرع الرجال الخمسة الباقون ، وعلى رأسهم (برنارد) ، لمساندة (ماثيو) ، وراحوا يطلقون النار على موضع الرصاصة ..

ثم انطلقت الرصاصة الثالثة ، وصرخ (برنارد) :

- حاصروه .. لقد حددنا موقعه ، ويمكننا اقتناصه فى يسر .

واصل الرجال إطلاق نيران مدافعهم الآلية ، وهم يلتفون حول النقطة التى انطلقت منها الرصاصات ، ثم وثب بعضهم إليها ، و صرخ أحدهم فى غضب :

- اللعنـة !.. إنها خدعة .

كان أثر النيران والرصاصات المتفجّرة واضحًا ، فانعقد حاجبا (برنارد) فى غضب رهيب ، وهو يهتف :

- يا للشيطـــان !

أما السائقون الأربعة عند القاعدة ، فقد رفعوا عيونهم إلى أعلى ، يتابعون ما يحدث ، وهتف أحدهم فى حماس :

- لقد ظفروا به .

ابتسم الثانى ، وقال :

- كان هذا حتميًا ، إن عاجلًا أو آجلًا .

وهزّ الثالث كتفيه ، قائلًا :

- كفى هزلًا يا (ستانلى) ، و يا (ميرك) .. أنتما تعلمان أن هذا الرجل ليس هينًا إلى هذا الحد .. ألم نرَ جميعًا كيف قذف القنابل الأربعة من النافذة ، بكل السرعة والمرونة ؟.. هل رأيتما فى حياتكما كلها رجلًا ينجو من اثنتى عشرة قنبلة يدوية فى آن واحد ؟

هتف الرابع (دينو) :

- لو أن القنابل تنفجر ، فور ارتطامها بأى جسم صلب ، لما نجا أبدًا .

وقهقه (ستانلى) ضاحكًا ، وهو يقول :

- ألا يمكنك نسيان هذا المشهد يا (كريس) ؟

التفت إليه (كريس) ، قائلًا فى حدة :

- كلا .. لا يمكننى هذا .. هل يمكنك أنت أن ..

بتر عبارته بغتة، واتسعت عيناه فى ذهول، وهو يهتف:

- اللعنـــة !

ثم رفع مدفعه الآلى بحركة سريعة ، وصوّبه إلى شىء ما خلف (ستانلى) ، صارخًا :

ـ لقد خدعنا .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى أصابته رصاصة فى صدره انتزعته من (الجيب) ، وألقته أرضًا فى عنف ..

واستدار الرجال الثلاثة الآخرون فى سرعة تليق بالمحترفين ، واتسعت عيونهم فى دهشة بالغة ، عندما وقعت على ما رآه (كريس) قبيل مصرعه مباشرة ..

على (أدهم صبرى) ، الذى جذب أنظار الجميع بخدعة متقنة إلى الشرق ، ثم باغتهم بهجومه من الغرب ..

وفى لحظة واحدة ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية للرجال الثلاثة نحو (أدهم) ، الذى تفصله عن أقرب السيارات إليه ثلاثة أمتار كاملة ، وهو يحمل مسدسه فى يده ..

ولكن كانت هناك مشكلة صغيرة ..

لم تكن فى خزانة مسدسه رصاصة واحدة ..

أو أمل واحد .

* * *

٣ ـ صحراء الدم ..

ارتفع صوت البوق المميّز لسيارة الإسعاف ، وهى تغادر مبنى المخابرات العامة ، حاملة (قدرى) ، وامتزج صوتها بصوت مدير المخابرات العامة المصرية ، وهو يقول فى غضب واضح ، لم يرغب حتى فى كتمانه هذه المرة :

ـ إنها أوّل مرة يحدث فيها مثل هذا فى الجهاز كله !.. كيف يطلق أحدهم النار على أحد رجالنا ، داخل مبنانا الرئيسى ، ثم نعجز عن إلقاء القبض عليه ؟.. إنها فضيحة .

ثم التفت إلى (منى) ، التى أغرقت الدموع وجهها ، مستطردًا فى حدة :

ـ وأنت أيتها الرائد .. كيف تركت المجرم يفلت ؟

أجابته فى مرارة :

ـ لقد رأيت (قدرى) مصابًا ، وأخذتنى المفاجأة ، و ...

قاطعها فى ثورة :

ـ أخذتك المفاجأة ؟!.. ياله من قول يصدر عن واحدة من العاملات فى جهاز المخابرات العامة !.. وماذا كنت ستفعلين ، لو أن القاتل كان ينتظرك ، ليفرغ باقى رصاصاته فى جسدك ؟..

قالت فى عصبية :

ـ سيِّدى .. من كان يتوقَّع هذا ؟

انعقد حاجباه فى غضب شديد ، وهو يقول :

ـ نعم .. من كان يتوقَّع هذا .. أتدرون ما الذى يعنيه ما حدث أيها السادة ؟.. إنه يعنى أن ذلك الخائن ما زال هنا .. بيننا .. إن أحدًا لم يغادر المبنى ، منذ أُطلِقَت النيران على (قدرى) ، وهذا يعنى أنه ما يزال هنا .

قالت (منى) فجأة :

ـ بالطبع .. إنه أحد الزملاء .

انفجر قولها كقنبلة شديدة التدمير وسط المكان ، وراح الجميع يتطلَّعون إليها بعيون متسعة مستنكرة ؛ وسألها المدير فى اهتمام قلق :

ـ لماذا قلت هذا ؟

أجابته فى سرعة وانفعال :

ـ (قدرى) هو الذى قال هذا .. لقد كان يجلس معى فى حجرتى ، عندما حدَق فى الممر الخارجى ، وذكر شيئًا عن أحد الزملاء ، وبعدها بقليل نهض يهتف بهذا الزميل ، ويخبره أن شيئًا ما ليس من حقه ، ثم سأله : هل يحمل تصريحًا بدخول الحجرة ..؟

سألها المدير :

ـ أية حجرة ؟

أجابته فى تفكير :

ـ من الواضح أنها إحدى الحجرات ، التى يمكن لـ (قدرى) رؤيتها من مكتبى .. حجرة الملفات القديمة ، أو أرشيف العاملين ، أو ..

قاطعها أحد زملائها فى انفعال :

ـ أو حجرة (الميكروفيلم) .

اتسعت عيناها ، وهى تهتف :

ـ إنها هى بالتأكيد ؛ فهى التى تحتاج إلى تصريح خاص لدخولها .

ازداد انعقاد حاجبى المدير ، وهو يلتفت إلى أحد رجاله ، قائلًا :

ـ (أحمد) .. اذهب فورًا إلى حجرة (الميكروفيلم) ، واصطحب أحد الفنيين ، وارفعوا البصمات عن بابها ، وراجع كل الملفات والوثائق .

سأله (أحمد) :

ـ وهل تمنع خروج الجميع ، حتى ننتهى من تحقيقاتنا يا سيِّدى ؟

فكَّر المدير لحظات ، ثم قال :

- كلا .. هذا إجراء غير عملى ، فلسنا ندرى كم يستغرق هذا الأمر .. ولكن اسمحوا للموظفين الإداريين بالانصراف أوّلا ، ولينتظر الضباط والعاملون حتى منتصف الليل بصفة استثنائية .

هتفت (منى) :

- ولكننى أريد الاطمئنان على (قدرى) .. إنهم يقولون : إنه مصاب بشدة .

مطّ المدير شفتيه ، وقال فى حنق :

- يا للنساء !

هتفت فى حرارة :

- أرجوك يا سيّدى .. سأعود فور استقرار حالته .

تطلّع إليها المدير لحظة فى صمت، ثم لوّح بيده، قائلا:

- فليكن .. هيّا .. انصرفى الآن ، وسننتظر عودتك بعد ساعتين فحسب .

أسرعت تبتعد ، هاتفة :

- أشكرك يا سيّدى .. أشكرك كثيرًا .

راقبها المدير بشىء من الضيق ، حتى اختفت فى نهاية الممر ، ثم التفت إلى رجل آخر من معاونيه ، وهو يقول :

- أريد منكم أن تبذلوا جميعًا قصارى جهدكم ، فالأمر أخطر مما يمكننا تصوّره .. إننا نواجه جاسوسًا أيها

السادة ، جاسوسًا فى مبنى المخابرات العامة المصرية ، أرفع أجهزة أمن الدولة ، ولو عجزنا عن كشف أمره ، فى أسرع وقت ممكن ، فسيعنى هذا أننا جميعًا قد فشلنا ، وبشدة .

وخفقت قلوب الجميع ..

* * *

هل سبق لك أن رأيت رجلًا ، يقطع ثلاثة أمتار بوثبة واحدة ؟!..

لو أنك لم تفعل ، فأنت سيئ الحظ بالفعل ، إذ أن تلك القفزة ، التى صنعها (أدهم) ، فى ذلك اليوم ، كانت مبهرة ، بكل ما تحويه الكلمة من معان ..

لقد رأى فوهات المدافع الآلية الثلاثة ترتفع نحوه ، وأدرك أنه من المستحيل أن يجد مكانًا يحتمى فيه من رصاصاتها ، فى تلك المنطقة المنبسطة الوعرة ..

فاتخذ قراره ..

ووثب ..

وفى وثبته ، بدا (أدهم صبرى) أشبه بفهد قوى ، يقطع الأمتار الثلاثة فى رشاقة (*) ، قبل أن يستقر داخل

(*) الرقم القياسى للوثب الطويل يتجاوز الأمتار الثلاثة .

(الجيب) المكشوفة ، التى يقودها (ستانلى) ، ويقول فى سخرية :

ـ مفاجـأة .

وجذب إليه (ستانلى) بيده اليسرى ، ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة بيمناه ..

ولم يحتمل (ستانلى) لكمة أخرى ..

لقد هوى فاقد الوعى مباشرة ، فى حين صرخ (دينو) :

ـ يا للشيطان !.. اقتله يا (روكو) .

وضغط زناد مدفعه الآلى ، فى نفس اللحظة التى فعل فيها (روكو) المثل ..

وانهالت الرصاصات على (أدهم) كالسيل ، ولكنها اخترقت كلها ظهر (ستانلى) ، الذى رفعه (أدهم) أمامه ، وصنع من جسده درعًا يقيه طلقات الآخرين ..

ثم جذب (أدهم) مدفع (ستانلى) الآلى ..

وحان دوره فى إطلاق النار ..

وفى هذه المرة ، ألقى (روكو) و (دينو) نفسيهما خارج سيارتيهما ، وقد تولاهما ذعر هائل ..

لقد أصابت رصاصات (أدهم) مدفعيهما ، وألقت بهما بعيدًا ، فى إصابة بدا من الواضح أنها مقصودة ، وبمنتهى الدقة ..

ثم بدأ فريق آخر يطلق النار ..

إنه (برنارد) ورجاله ، الذين جذبهم صوت طلقات النار ، فهبطوا من الجبل بسرعة ، وقد كشفوا خدعة (أدهم) ، بعد فوات الأوان ..

وقفز (أدهم) إلى مقعد القيادة ، وهو يهتف :

ـ معذرة أيها الأوغاد .. حان وقت الانصراف .

وانطلق بالسيارة ..

وفى ثورة ، صرخ (برنارد) :

طاردوه .. لا تسمحوا له بالفرار .

سأله (ميكى) :

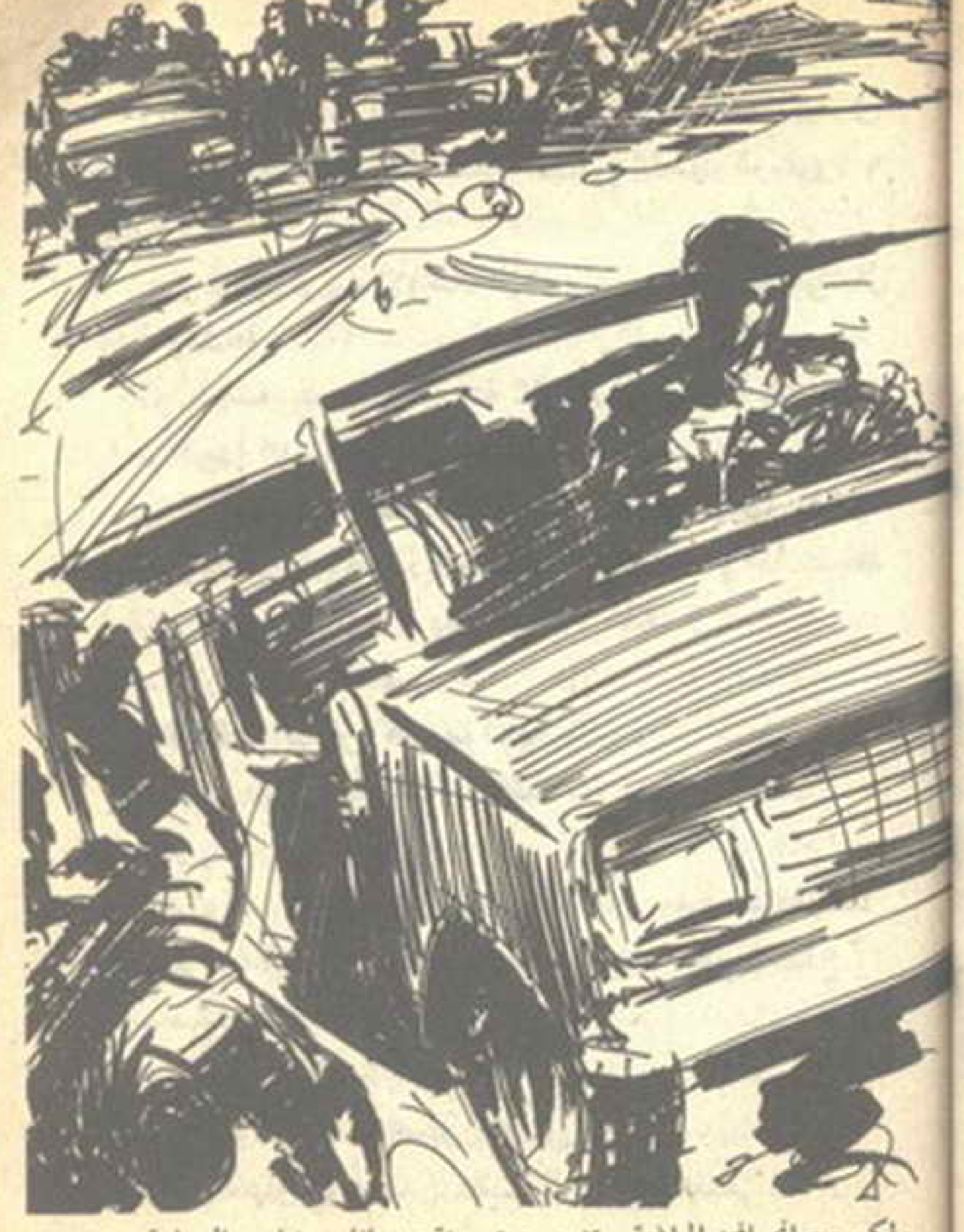
ـ وماذا عن (ساندر) ؟.. هل نتركه ؟.. إنه مصاب فى فخذه !..

صاح به (برنارد) ، وهو يعدو نحو إحدى السيارات الثلاث الباقية :

ـ فليذهب (ساندر) إلى الجحيم .. المهم أن نقتنص هذا الرجل .

وثبوا جميعًا داخل السيارات الثلاث ، وانطلقوا بأقصى سرعة خلف (أدهم) ..

وكانت مطاردة عنيفة ، اشتركت فيها وعورة الأرض ، مع حرارة الشمس ، وشدة التوتر والانفعال ، لصنع بركان



ولكن مع انحرافته المباغتة ، تدحرجت جثة (ستانلى) خارج السيارة ، ومعها مدفعه الآلى ، وأسلحته الأخرى ..

ثائر فى أعماق الرجال التسعة ، وهم يتعقَّبون (أدهم) ، وهتف (روكو) فى عصبية ، وهو يبذل قصارى جهده للتحكم فى سيارته ، فوق الأرض الوعرة غير الممهَّدة :

ـ اللعنة !.. كيف يقود ذلك الشيطان سيارته بهذه السرعة ؟

صاح به (ماثيو) :

ـ إنها سيارتنا نحن أيها الحقير .

هتف (روكو) فى حدة :

ـ وهل يصنع هذا فارقًا ؟

صاح (برنارد) :

ـ لا تتجادلوا ، وأطلقوا النار عليه ..

وهنا عادت الرصاصات تنهمر كالسيل ، ولكن (أدهم) كان يناور بالسيارة فى براعة ، مما جعل إصابته شبه مستحيلة ، وأطلق ضحكة ساخرة ، وهو ينحرف نحو سلسلة جبلية أخرى ، هاتفًا :

ـ هيا أيها الأوغاد .. سنختبر مهارتكم أكثر .

ولكن مع انحرافته المباغتة ، تدحرجت جثة (ستانلى) خارج السيارة ، ومعها مدفعه الآلى ، وأسلحته الأخرى ..

ولم يكن هناك وقت للتوقُّف ، واستعادة الأسلحة ، فعقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم فى سخرية متوتِّرة :

ـ عظيم .. لقد قرَّر القدر حرمانى من الأسلحة طوال المعركة .

رأى فى مرآة السيارة ، السيارات الثلاث الأخرى تنحرف خلفه ، فى ذلك الممر الجبلى الشديد الوعورة ، فتابع :

- وها هم أولاء الأوغاد الآخرون ، يسعون خلفى بكل همة ونشاط .

ثم أضاف وهو يميل بعجلة القيادة فى سرعة مباغتة :

- فليبدأ الاختبار .

ومالت السيارة فجأة إلى اليمين ، ثم دارت حول نفسها فى براعة ، وواجهت السيارات الثلاث ، وهنا ضغط (أدهم) دوّاسة الوقود بكل قوته ، هاتفًا :

- الآن يا أميرة السيارات .

وانطلقت السيارة فى مواجهة النيران ..

وكانت مبادرة مباغتة مدهشة ..

ومربكة ..

لقد توقّف الجميع عن إطلاق النيران ، مع ذلك التطوّر المدهش ، غير المتوقّع ، وهتف (دينو) فى ارتياع :

- ماذا يفعل هذا المجنون ؟

صرخ (برنارد) :

- لا تتوقّفوا .. واصلوا إطلاق النيران .

ولكن سيارة (أدهم) كانت أقرب مما ينبغى ..

بل كانت فى المواجهة تمامًا .

وقبل أن يعود الرجال للضغط على أزندة مدافعهم الآلية ، كان سائقو السيارات الثلاث ينحرفون فى سرعة ، لتفادى الارتطام بسيارة (أدهم) ، التى تندفع نحوهم فى خط مستقيم ، وكأن صاحبها يتعمّد الاصطدام بهم ..

ومع انحراف السيارات الثلاث ، فقد الرجال توازنهم ، وطاشت رصاصاتهم فى الهواء ، فى حين تجاوزتهم سيارة (أدهم) فى سرعة ، وعادت أدراجها عبر الممر الجبلى إلى الخارج ، لتنطلق مبتعدة مرة ثانية ، فى قلب الصحراء الجبلية ..

وهتف (برنارد) :

- واصلوا المطاردة أيها الأغبياء .. هيّا .. بسرعة .

استدارت السيارات الثلاث ، وعادت تطارد (أدهم) عبر الصحراء ، فى حين راح هذا الأخير يبحث فى السيارة التى يقودها عن أية أسلحة ، وهو يغمغم :

- المفروض أن يتركوا شيئًا هنا أو هناك .

وارتفع حاجباه فى ارتياح ، عندما عثر على مسدس كبير أسفل مقعد القيادة ، فابتسم وهو يقول :

- مسدس (بريتا) ، طراز (١٩٧٩م) ، بخزانة ذات تسع رصاصات .. عظيم .. هذا يكفى فى الوقت الحالى .

سمع دوى رصاصات الرجال من خلفه ، وشعر ببعض رصاصاتهم ترتطم بمؤخرة السيارة ، فغمغم :

ـ هل سنتعامل معهم طوال الوقت بهذه السلبية يا (أدهـم) ؟.. كلا .. اتبـع مبـدأ (نابليـون) يا رجل [*] .. (الهجوم خير وسيلة للدفاع) .

قالها وأمسك عجلة القيادة بيسراه ، ثم مال بجسده كله ، ليطلق النيران من المسدس بيمناه ..

وأصابت إحدى رصاصاته زجاج السيارة الأولى ، وأصابت الثانية مبرِّد السيارة الثانية ، فى حين اخترقت الثالثة إطار السيارة الأخيرة ، فانفجر بدوىّ مكتوم ، وانحرفت السيارة فى عنف ، ثم انقلبت رأسًا على عقب ، وراحت تتدحرج فوق الصخور والحصى ، ومن داخلها ترتفع صرخات ألم طويلة ..

وهتف (روكو) ، فى السيارة الثانية :

ـ لن يمكننا الاستمرار يا (برنارد) .. لقد أصابت

(*) (نابليون بونابرت) : (١٧٦٩ ـــ ١٨٢١) : إمبراطـور (فرنسا) ، وقائد جيوشها ، ولد فى (كورسيكا) ، وتخرّج ضابطًا للمدفعية فى (فرنسا) .. عين قائدًا للحملة الإيطالية (١٧٩٦ ـ ١٧٩٧م) ، وقاد الحملة الفرنسية على (مصر) عام (١٧٩٨م) ، أعلن نفسه إمبراطورًا على (فرنسا) عام (١٨٠٤م) ، ثم هُزم فى معركة (واترلو) (١٨١٥م) ، ونفى فى جزيرة (سانت هيلانه) حتى مماته .

الرصاصة مبرِّد السيارة ، ونحن نفقد المياه فى سرعة ، وسيحترق المحرِّك ، ولو واصلنا الانطلاق هكذا .

عضّ (برنارد) شفتيه ، وهو يقول فى حنق :

ـ اللعنـة .. اللعنـة !

ثم أشار إلى السيارة الأخيرة ، صائحًا :

ـ واصلوا المطاردة .. سنضطر إلى التوقُّف .

وتابع و (روكو) يضغط فرامل السيارة مضطرًا :

ـ أى شيطان هذا ؟.. لقد حطَّم الفريق كله تقريبًا !

أجابه (فيدوك) فى عصبية :

ـ إنه مجرِّد وغد محظوظ أيها القائد .. وأنا واثق من أن (ميرك) ، و (دينو) ، و (نيومان) سيظفرون به .

زفر (برنارد) فى توتر ، وهو يتابع المطاردة فى سخط ، مغمغمًا :

ـ أتعشَّم هذا .. أتعشَّم هذا .

أما (أدهم) ، فقد أطلق أربع رصاصات أخرى نحو السيارة الأخيرة ، اخترقت كلها زجاج السيارة ، ولكنها لم تتسبَّب إلا فى إصابة (نيومان) بجرح سطحى فى كتفه ، فقال فى غضب :

ـ سنواصل مطاردته أيها الرجال .. سنطارده حتى نظفر به ، ونمزِّقه إربًا .. هيا أطلقوا النار بسخاء .

انهمرت رصاصات مدافعهم الآلية على سيارة (أدهم) ، الذى مال يسارًا ، وهو يقول :

ـ فليكن أيها الأوغاد .. إننى أكره القتل وإراقة الدماء ، ولكن يبدو أنكم لا تتركون لى بديلًا ، ورصاصة واحدة فى إطار السيارة ، يكفى لـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اصطدمت السيارة بغتة بحجر كبير ، ومالت على جانبها فى عنف ، وطاشت رصاصة (أدهم) فى الهواء ، وهو يحاول استعادة السيطرة على السيارة ، ولكن ..

وآه من كلمة (لكن) هذه ..

لقد وثبت السيارة وثبة عنيفة ، ثم انزلقت على جانبها طويلًا ، فوق الأرض الوعرة ، وهى ترتجّ فى عنف ، قبل أن تنقلب مرتين ، ثم تستقر على جانبها الآخر ، وسط عاصفة من الرمال والغبار ..

وصرخ (نيومان) فى سعادة ظافرة :

ـ لقد سقط .

هتف به (ميرك) فى انفعال :

ـ هل .. هل تعتقد أنه لقى مصرعه ؟

أجابه فى عصبية ، وهو يجذب إبرة مدفعه الآلى للمرة الثانية :

ـ لو لم يكن قد فعل ، فنحن سنعيد الأمور إلى نصابها .

انطلق (ميرك) فى حذر إلى حيث السيارة المقلوبة ، و (دينو) يقول فى لهفة وحشية ، تحمل انطباعًا ساديًا :

ـ دعنا لا نقتله مباشرة .. أريد أن يتعذّب قليلًا .

ابتسم (نيومان) فى جذل ، وهو يقول :

ـ نعم .. لك هذا .

توقّفوا بالقرب من السيارة المقلوبة ، وغادروا سيارتهم فى حذر ، وكل منهم يصوّب مدفعه الآلى إليها ، وقال (دينو) :

ـ حذار أن يخدعكم ، أو ...

بتر عبارته ، وهو يهتف فجأة :

ـ ها هو ذا .

استدار الآخران بفوهتى مدفعيهما إلى حيث يشير ، ووقع بصرهما على جسد (أدهم) ، الذى استلقى إلى جوار السيارة المقلوبة ، وقد تمزّقت حلته الفاخرة على نحو بشع ، وتغطت بعض أجزائها بالدماء ، وهتف (ميرك) :

ـ هل .. هل لقى مصرعه ؟

عقد (نيومان) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ هناك وسيلة واحدة للتأكد .

واستعد لضغط زناد مدفعه الآلى ، لولا أن رأى (أدهم) يتحرّك ، ويرفع رأسه فى ألم ، ثم يدير عينيه إليهم فى بطء ، وهو يمسك المسدس ..

كان من الواضح أنه مصاب بشدة ، ولكن عينيه لم تفقدا بريقهما ، وذهنه لم يفقد توقّده وصفاءه ، وهو يتطلّع إليهم ، ويقول بصوت متهالك ، مازال يحمل رائحة السخرية :

ـ أنتم هنا؟! .. معذرة .. ليس لدىّ ما أقدّمه لكم سوى هذا .

قالها ، وهو يرفع فوهة مسدسه نحوهم ، فابتسم (نيومان) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ حتّى هذا لا يصلح لثلاثتنا يا رجل .. إننى أعرف هذا المسدس ، فهو مسدس (ستانلى) الاحتياطى ، وكان يتركه دائمًا تحت مقعده ، وهو يحوى تسع رصاصات فحسب ، أطلقت أنت ثمان منها ، ورصاصة واحدة لن تكفى لقتل ثلاثة رجال .

غمغم (أدهم) ، بتلك اللهجة المتهالكة الساخرة :

ـ هل تظن هذا ؟

صوّب إليه (نيومان) فوهة مدفعه ، وتبعه زميلاه فى هذا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ بل أنا موقن ما أقول .. الوداع يا سنيور (أميجو ساندو) .. إننا فرقة الإعدام ، التى سترسلك إلى الجحيم فورًا .. الوداع .

وانضغط الزناد .

* * *



٤ ـ المصـــاب ..

نهض (تونى بورسالينو) من خلف مكتبه الضخم ، فى الطابق الأخير من ناطحة السحاب ، التى تحمل اسم (شركة الإليكترونيات الكبرى) ، فى قلب (نيويورك) ؛ ليصافح الدكتور (أحمد صبرى) ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة كبيرة ، ويقول :

ـ مرحبًا يا دكتور (صبرى) .. مرحبًا بك فى مكتبى .. كيف حالك ؟ وكيف حال أبحاثك المستمرة ؟

صافحه الدكتور (أحمد) ، وهو يقول :

ـ أعتقد أننا قد حققنا نجاحًا واضحًا ، فى البحث الأخير ، الذى نجرى تجاربنا عليه ، فى معامل الشركة .. والواقع أن الخبراء يساعدوننا كثيرًا فى مجال الإليكترونيات ، ولكن ..

سأله (تونى) فى اهتمام :

ـ ولكن ماذا ؟.. أهناك ما يقلقك ؟

أجابه الدكتور (أحمد) :

ـ لا .. لا يوجد ما يقلقنى ، ولكن هناك مطلب هام ، أتمنى أن توافق عليه ..

سأله (تونى) فى حذر :

ـ ما هو بالضبط ؟

قال الدكتور (أحمد) فى حماس :

ـ التمويل .. إننا نحتاج إلى اعتمادات أكثر ، فالتجارب تتفق الكثير ، والوصول إلى مستوى الدقة المطلوب يحتاج إلى الجهد والمال معًا .

جلس (تونى) على مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ وكم تطلب بالضبط ؟

أجابه بسرعة ، وكأنه أعدّ الجواب مسبقًا :

ـ خمسة ملايين دولار .

رفع (تونى) حاجبيه فى دهشة ، ثم عاد يخفضهما ، وتظاهر بالاستغراق فى تفكير عميق ، قبل أن يقول :

ـ لا بأس يا دكتور (صبرى) .. أنا واثق من أنه مطلب عادل ، ولكن امنحنى بعض الوقت للتفكير ، قبل اتخاذ القرار ، فالمبلغ ضخم كما تعلم .

ابتسم الدكتور (أحمد) ، وقال :

ـ نعم .. أعلم هذا يا سيد (تونى) ، ولكن الفائدة المرجوة منه ستكون ضخمة أيضًا .. ثق بهذا .

صافحه (تونى) فى حرارة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيـد يا دكتـور (صبـرى) .. بالتأكيـد .. لا يراودنى أدنى شك فى هذا ، ولكن قرار زيادة التمويل

يحتاج إلى موافقة مجلس الإدارة .. أنت تدرك هذا بالطبع .

صافحه الدكتور (أحمد) وهو يقول :

ـ بالطبع يا سيد (تونى) ، وأنا واثق بحسن تفكير وقرار المجلس .

ظلّ (تونى) محتفظًا بابتسامته ، حتى غادر الدكتور (أحمد صبرى) حجرته ، ثم عقد حاجبيه ، وغمغم فى حنق :

ـ خمسة ملايين دولار ؟!.. من يتصوّر نفسه هذا الرجل ؟

ثم التقط سماعة هاتفه الخاص ، وجرت أصابعه فوق أزراره فى سرعة ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال :

ـ صباح الخير يا مسز (آرثر) .. أنا (تونى) .. (تونى بورسالينو) .. لقد جاء ذلك الطبيب المصرى إلى هنا ، ويطالب بخمسة ملايين إضافية ، و ..

قاطعته فى حسم :

ـ امنحه إياها .

بُهت (تونى) للجواب المباشر ، فقال فى توتر :

هذا يحتاج إلى موافقة مجلس الإدارة .

أجابه فى صرامة :

ـ احصل عليها إذن .

توتر (تونى) فى شدة ، وهو يقول :

ـ مسز (آرثر) .. إنك تدللين هذا المصرى فى شدة ، و ...

قاطعته بصيحة هادرة :

ـ اصمت .

ارتجفت الدماء فى عروقه مع صيحتها ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهى تستطرد فى عنف صارم :

ـ نفذ أوامرى بلا مناقشة ، ولا تحاول نسيان أنك مجرد فزّاعة (*) ، أو صورة أضعها لتغطية صورتى ، أمام مجلس الإدارة ، إنك لا تعلم ما أرمى إليه ، ولا الهدف من كل هذا ، فلا تترك لعقلك فرصة للتفكير .

غمغم ، مرتعدًا :

ـ مسز (آرثر) .. إننى لم أقصد ..

ولكنها واصلت فى حدة ، دون أن تمنحه الفرصة للاسترسال :

ـ إن (أحمد صبرى) هذا هو خير سلاح أحتفظ به .. إنه الضربة القاصمة ، التى يمكننى بوساطتها هزيمة عدوى اللدود فى هذه الحياة .. وسأدلله ما شاء لى التدليل ، مادمت أفعل هذا بأموالى وإرادتى ، وعندما تحين اللحظة الحاسمة ، واستخدمه كخط دفاع أخير ، للسيطرة على خصمى الوحيد ، سأنتهى منه بسرعة ، ثم أسحقه بقدمى كالحشرة ..

(*) خيال مآتة .

وصرخت وقد بلغ انفعالها ذروته :
- هل تفهم .. سأسحقه كالحشرة .
وارتجف (تونى) أكثر ..

★ ★ ★

« ولكن .. هل سينجو ؟.. » .
نطقت (منى) السؤال بصوت متوتر حزين خائف ، فتطلّع إليها الطبيب المعالج لـ (قدرى) ، وهو يقول :
- لا يمكننى الجزم بهذا يا آنستى .. لقد أصيب بأربع رصاصات ، استقرّت اثنتان منها فى صدره ، والثالثة فى ذراعه ، والرابعة فى كتفه الأيسر .. ورصاصتا الصدر هما الأكثر خطورة ؛ فإحداهما اخترقت الرئة اليسرى ، والثانية كادت تخترق القلب ، لولا كتل الشحوم والدهون ، التى تغطى صدره، والتى كانت لها فائدة واحدة على الأقل .
ترقرقت الدموع فى عينى (منى) ، وهى تقول :
- وماذا فعلتم من أجله ؟
أجابها الطبيب مشفقًا :
- لقد أعددناه لإجراء عملية جراحية عاجلة ، فى محاولة لاستخراج الرصاصتين من صدره ، ولكننى أعتقد أن إجراءها سيستغرق وقتًا يزيد على الساعتين ، اللتين حصلت عليهما من عملك .

قالت فى حزم :
- سأنتظر .
تطلّع إليها فى قلق ، وهو يقول :
- لا داعى لهذا .. عودى إلى عملك ، وسأتصل بك فور خروجه من حجرة العمليات .. أعدك بهذا .
ولكنها كرّرت فى صرامة :
- سأنتظر .
رمقها الطبيب بنظرة مشفقة ، ثم هزّ رأسه فى هدوء ، وهو يقول :
- هذا شأنك .
واتجه إلى حجرة التعقيم ، استعدادًا لإجراء العملية الجراحية لـ (قدرى) ..
تلك العملية التى تحدّد ما إذا كان (قدرى) سينجو أم .. أم أنها لحظاته الأخيرة ..

★ ★ ★

انضغط الزناد ..
وانطلقت رصاصة ..
رصاصة واحدة ..
صحيح أن (نيومان)، (ميرك)، و (دينو) كانوا يصوّبون فوهات مدافعهم الآلية إلى (أدهم) ، ويستعدون لقتله

دون تردد ، ولكن (أدهم) هو الذى ضغط زناد مسدسه أولًا ، وأطلق رصاصته الوحيدة نحوهم ..

بل نحو (ميرك) بالذات ، الذى يتخذ موقعًا يتوسط زميليه ..

ولو شئنا الدقة ، فيمكننا أن نقول : إن (أدهم) لم يطلق رصاصة نحو جسد (ميرك) كله ، بل نحو حزامه بالتحديد ..

أو نحو واحدة من القنابل ، التى تتدلى من حزامه ..

وانفجرت القنبلة ..

ومزق الانفجار جسد (ميرك) ، وأطاح بزميليه مسافة ثلاثة أمتار ، وأدى إلى انفجار قنبلتين أخريين ، فى حزام (ميرك) ، مما ضاعف من قوة الانفجار مرتين ، وحوّل أجساد الرجال الثلاثة إلى أشلاء ..

وفى تهالك ، نهض (أدهم) مغمغمًا :

ـ ها هى ذى رصاصة واحدة قد ربحت المعركة أيها الوغد .

لم يكن يشعر بالفخر أو الزهو فى أعماقه ، شأن كل مرة يضطر فيها إلى إراقة الدماء وإزهاق الأرواح ..

ولكنه كان مضطرًا ..

والضرورات ـ فى كل الأحوال ـ تبيح المحظورات ..

وفى صعوبة ، راح (أدهم) يجرّ قدميه جرًا ، إلى سيارة الرجال الثلاثة ، والتقط فى طريقه أحد مدافعهم الآلية ، وألقاه داخل السيارة ، ثم جلس على مقعد القيادة ، وانطلق بالسيارة يشق الصحراء مرة أخرى ..

ومن بعيد ، رأى (برنارد) ما حدث ، عبر منظاره المقرّب ، فهتف فى حنق بالغ :

ـ اللعنة !.. هذا الشيطان نجح مرة أخرى .

هتف (روكو) فى ثورة :

ـ مستحيل !.. لا يمكننا أن نسمح له بالفرار .. لقد دمّر الفريق كله .. لم يبق سوانا .. أنت وأنا ، و (فيدوك) .. و (ماثيو) الذى نجا بأعجوبة من انقلاب سيارته ..

قال (برنارد) فى حزم :

ـ و (ساندر) كذلك .. سنعود لالتقاطه ، وسننقله إلى حيث يتمّ إسعافه ، ثم نواجه ذلك الشيطان مرة أخرى .

قال (فيدوك) فى عصبية :

ـ كيف ؟.. لقد فقدنا وسيلة الحركة ، ولم نعد نمتلك سوى أقدامنا .

أجابه فى حدة :

ـ والسيارة الأخرى .. سننقل مبرّد السيارة المقلوبة إلى هذه السيارة ، أو نحاول إعادتها إلى وضعها ،

واستبدال إطارها بآخر .. المهم أن نواصل المطاردة ، حتى نظفر بذلك الشيطان .

وبرقت عيناه فى وحشية ، وهو يستطرد :

ـ إنها مسألة مبدأ .

وجذب إبرة مدفعه الآلى فى غضب ..

★ ★ ★

بدأ الدوار يكتنف رأس (أدهم) ، وهو ينطلق بالسيارة ، عبر صحراء تبدو وكأنها بلا نهاية ، وبدأ ضباب خفيف ينتشر أمام عينيه وحده ، وهو يتمتم :

ـ عجبًا !.. لماذا تبدو المدينة بعيدة إلى هذا الحد ؟

كان يقود السيارة فى صعوبة ، وهو يبذل قصارى جهده للسيطرة على اتزانه ، وحسن تقديره للأمور ، ولكن جسده بدأ يرتجف ، مع كل ما فقده من دماء ، وكثرة الإصابات المتفرّقة فى جسده ، والمجهود الهائل الذى بذله ، مع انفعالاته المكتومة ، منذ وصل إلى (كيواوا) فى الصباح ..

ولكنه قاوم ..

قاوم بكل إرادته الفولاذية ، وصلابته المعهودة ..

ومن بعيد ، لاحت له مزرعة ، تشبه إلى حد كبير مزرعته السابقة، قبل أن يدمّرها رجال (سونيا) ، فتمتم :

ـ أهى المدينة ؟.. أم ..

كان من الواضح أنه يرى فى صعوبة ، وأن الشمس ، التى تتخذ رحلة المغيب ، قد بدأت تلقى ظلالها المتراقصة أمامه ، لتخدع بصره وإدراكه ..

ثم بدأ مؤشر الوقود يهبط كثيرًا ، وأضىء مصباح التحذير ، ليعلن قرب نفاد الوقود ..

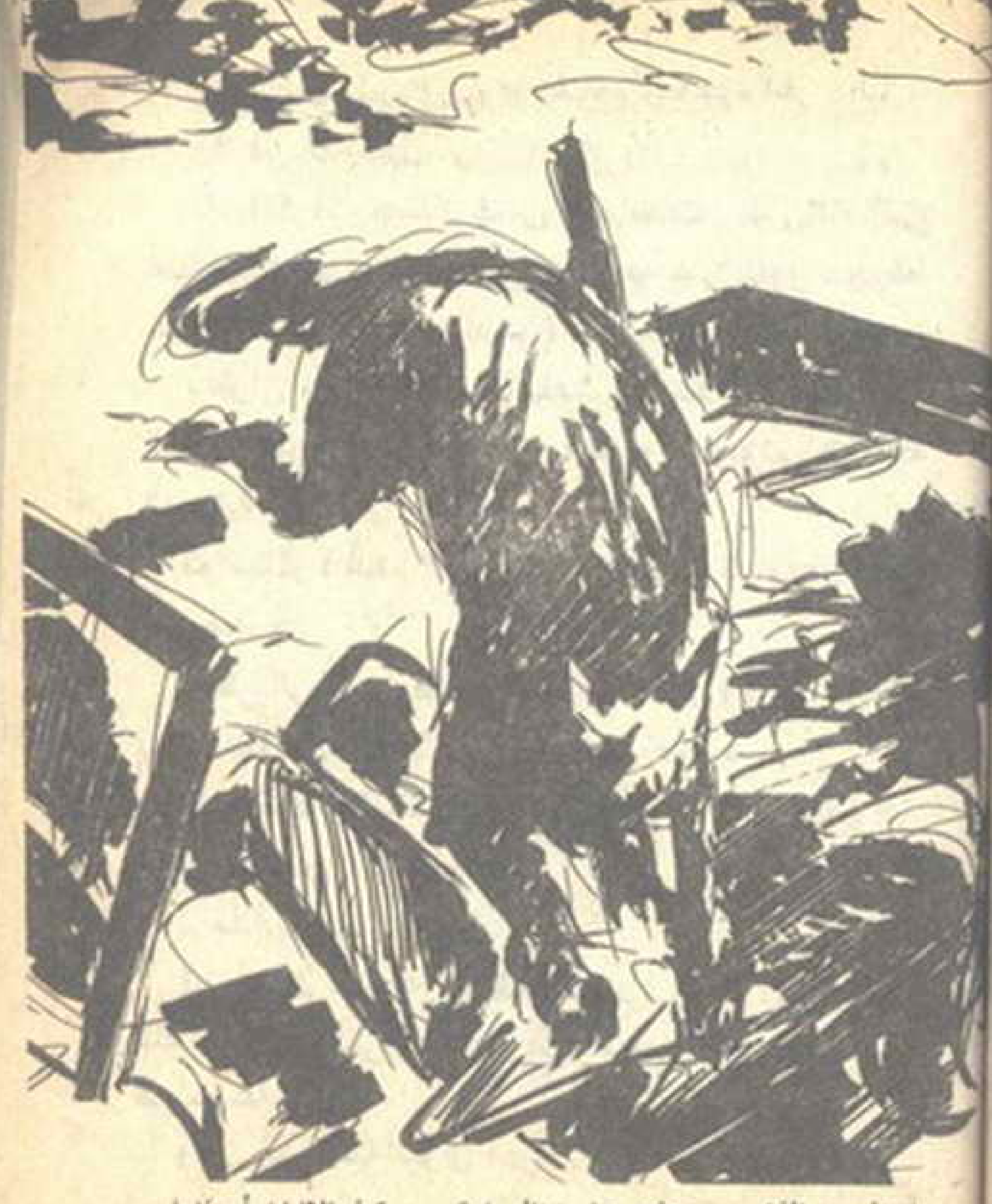
وغمغم (أدهم) ، وهو يحاول أن يبتسم فى صعوبة :

ـ ما الذى أصاب المركبات اليوم ؟.. إنها تفقد جميعها الوقود بأسرع مما ينبغى .

ولم تمض لحظات أخرى ، حتى أصدر المحرّك فرقعة مرتبكة ، ثم توقّف عن الدوران ، وتوقّفت السيارة وسط الصحراء ، على مسافة ثلاثة كيلو مترات ، من أقرب مزرعة مأهولة ، فالتقط (أدهم) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ الآن لا مفر .. لابد أن أقطع المسافة القادمة سيرًا على الأقدام .. أو ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفعت من خلفه زمجرة خافتة ، جعلته يلتفت إليها ، بأقصى سرعة أمكنه الالتفات بها ، ودار رأسه فى البداية ، مع هذا الالتفات ، ورأى الأجسام كلها مهتزة متداخلة ، ثم لم يلبث أن ميّز ذئبًا ضخمًا ، يتطلّع إليه بعينين وحشيتين ناريتين ..



وارتطم به الذئب ، ودفعه خارج السيارة ، وسقط الاثنان أرضًا فى عنف ..

وتمتم (أدهم) ، وهو يسحب المدفع الآلى فى حذر :

ـ أحسنت اختيار الوقت المناسب أيها الذئب ؛ فأنا لا أكاد أراك .

كانت عبارته صحيحة إلى حد كبير ، فالذئب يقف فى تلك المسافة ، بين السيارة والشمس الغاربة ، ويلقى أمامه ظلًا طويلًا ، يمتدّ إلى السيارة نفسها ، ويضفى عليه رهبة مضاعفة ، وهو يطلق زمجرته الثانية ، ويستعد للوثوب نحو (أدهم) ..

وجذب (أدهم) المدفع الآلى إليه ، ووضع سبّابته على زناده ، وهو يغمغم :

ـ حسن .. انتظر لحظة إضافية أخرى، وتخسر كل شىء.

ولكن الذئب الضخم لم ينتظر ..

لقد انقضّ على فريسته بلا رحمة ، بعد أن أغراه ضعفها ، وجذبته إليها رائحة دمائها ..

ورفع (أدهم) المدفع الآلى ..

وأطلق النار ..

وارتطم به الذئب ، ودفعه خارج السيارة ، وسقط الاثنان أرضًا فى عنف ، حتى أن (أدهم) شعر بآلام مبرحة فى جسده كله ، وهو يحاول التشبث بالمدفع الآلى ، ليصدّ أى هجوم آخر من الذئب ..

ولكن الذئب لم يكن ينوى القيام بأى هجوم آخر حاليًا ..
ولا فى المستقبل ..

لقد اخترقت جسده خمس رصاصات ، من تلك التى أطلقها (أدهم) نحوه ، فلقى مصرعه على الفور ، وسقط بثقله كله على صدر (أدهم) ..

ولثوان ، راح (أدهم) يلهث فى شدة ، وذلك الثقل الجاثم على صدره يرهق أنفاسه ، ويؤلم ضلوعه المصابة .

ثم استنفر (أدهم) كل ما تبقَّى له من قوة ، ودفع الذئب عن صدره ..

وعلى الرغم من قوته المعهودة ، شعر (أدهم) وكأنه يحمل طنًا من الفولاذ ، ويزيحه عن صدره ..

كان ضعفه وتهالكه قد بلغا ذروتهما ، وهو يتطلَّع إلى قرص الشمس ، متمتمًا :

ـ ماذا أصابنى ؟.. هل ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يلمح تلك السيارة ، التى قطعت قرص الشمس ، واتجهت نحوه فى سرعة ..

وقفز إلى ذهنه سؤال آخر ..

أهى سيارة أولئك القتلة ، الذين يواصلون مطاردته ؟

وقبل أن يصل ذهنه إلى الجواب ، أحاطت به غشاوة كثيفة ، ثم أظلم تمامًا ..

وفقد (أدهم) وعيه وسط الصحراء الجبلية ، وراحت السيارة تقترب منه أكثر ..

وأكثـر ..

وأكثـر ..





٥ - أيـن ؟..

بدا مدير المخابرات العامة المصرية شديد الغضب ، وهو يجتمع بعدد من أقرب معاونيه ، فى حجرة مكتبه الخاصة ، وأخذ يقطع الحجرة جيئة وذهابًا بلا توقف ، وهو يتحدث إليهم ، قائلًا :

- التقرير العاجل لخبير البصمات يؤكد أن البصمات التى حصل عليها ، لا تتطابق مع بصمات أى ضابط من ضباط المبنى ، أو الأقسام الفنية المعاونة ، وقد يبدو لكم هذا مريحًا إلى حد ما ، لأنه ينفى التهمة عن الجميع ، إلا أنه فى الواقع أكثر إثارة للقلق والخوف ؛ إذ أنه يعنى أن الأمر لا يقتصر على خيانة فحسب ، وإنما على إهمال وتسيب أيضًا ، وإلا فكيف نجح جاسوس ما فى دخول مبنى المخابرات العامة ، و الوصول إلى حجرة (الميكروفيلم) ، دون أن يتم ضبطه ، وكشف أمره ؟.. هذا هو السؤال .. ولقد فتشنا المبنى كله شبرًا شبرًا ، وعثرنا بالفعل على الأفلام المسروقة ، فى ركن خفى بالمكتبة ، ومن الواضح أن الجاسوس قد تخلص منها ، حتى لا تتسبب فى كشف أمره ، مما يوحى بأنه بالفعل أحد العاملين بالمبنى ، فكيف يمكننا حل هذا اللغز المزدوج ؟

انبرى أحد رجاله ، قائلًا :

- أعتقد يا سيدى أن السر كله يكمن فى تلك الكلمات، التى تحدث بها (قدرى)، قبل أن يطلق عليه الجاسوس النار.

قال المدير :

- بالتأكيد ؛ فهو شعر بالشك فى البداية ، ثم سأل الجاسوس : هل يحمل تصريحًا بدخول حجرة (الميكروفيلم) ؟.. ما الذى يعنيه هذا فى رأيكم ؟

هز رجل آخر كتفيه ، وقال :

- يعنى أن (قدرى) رأى أنه من الخطأ أن يدخل هذا الرجل حجرة (الميكروفيلم) .

رفع المدير سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

- وعلى الرغم من هذا ، فقد أشار إلى ذلك الرجل بكلمة (الزميل) .. وأنتم تعرفون (قدرى) ، وتلك الدقة التى اكتسبها بحكم طبيعة عمله ، وما دام قد وصف ذلك الرجل بالزميل ، فهذا يعنى أنه يعرفه .

هتف رجل ثالث :

- إذن فالسؤال الحقيقى هو : لماذا شعر (قدرى) أنه ليس من حق هذا الزميل بالذات دخول الحجرة ؟

قال الأول فى اهتمام :

- هذا صحيح ؛ فلو أن (قدرى) رأى أحدنا يدخل إلى

حجرة (الميكروفيلم) ، لاكتفى بتحيته ، أو ألقى عبارة أو عبارتين للمداعبة ، وأطلق ضحكته المجلجلة ، وهو يفترض أن الذى يدخل الحجرة يحمل تصريحًا بذلك .

قال الثانى فى انفعال :

ـ وهذا يعنى أن الشخص الذى رآه (قدرى) يدخل إلى الحجرة ، هو شخص ليس من حقه أبدًا الدخول إليها .

قال المدير :

ـ ولا توجد فى المبنى كله ، سوى فئة واحدة ، ليس من حقها الدخول إلى حجرة (الميكروفيلم) أبدًا .

قفز الأول من مقعده ، هاتفًا :

ـ الموظفون الإداريون .

هتف الثانى :

ـ بالضبط .

وهنا ازداد انعقاد حاجبى المدير ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ، نكون قد أطلقنا سراح الجاسوس دون أن ندرى .

ثم التفت إلى معاونيه ، وقال فى حزم :

ـ الأمر يحتاج منا إلى تحرك بالغ السرعة يا رجال ؛ فالجاسوس يدرك الآن أن كشف أمره أصبح مسألة وقت فحسب ، وسيدفعه هذا إلى التصرف بكل التوتر

والشراسة ، فى محاولة للخلاص من مأزقه ، أو الفرار من البلاد نهائيًا .. أما نحن ، فعلينا أن نعمل على نحو أكثر سرعة منه ، حتى نعرف جواب السؤال : من هو الجاسوس ؟.. من ؟

* * *

« قدرى » نفسه سيخبرنا هذا بإذن الله .. »

نطق الطبيب هذه العبارة فى هدوء ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة كبيرة ، جعلت (منى) تقفز من مكانها فرحًا ، وهى تهتف :

ـ هل تعنى أنه .. ؟

حافظ على ابتسامته الكبيرة ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول :

ـ نعم يا آنستى .. لقد نجا بعناية الله (سبحانه وتعالى) ورحمته .. ولن يمضى يوم أو يومان ، حتى يخبرنا بنفسه عمن أطلق عليه النار ..

هتف :

ـ هل يمكننى رؤيته ؟

هز الطبيب رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لست أعتقد هذا .. لقد كانت عملية جراحية دقيقة ، وبدانته تقف كعائق كبير ، فى وجه أى جراح ، وسيحتاج

إلى يوم كامل على الأقل ، فى حجرة العناية المركزة ، قبل أن يستعيد وعيه وقوته .

سالت الدموع من عينيها ، هى تقول :

ـ سأعد له وجبة رائعة حينما يستيقظ .. لن يمكنك أن تتصور حبه للطعام .

هز كتفيه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ هذا يبدو واضحًا .

ثم أردف فى جدية :

ـ ولكننى لست أعتقد أنه سينعم بالوجبات الشهية ، فى القريب العاجل ، وما يحتاج إليه بالفعل ، عندما يستعيد وعيه ، هو الأصدقاء .

تطلعت إليه لحظة فى صمت ، ثم شرد بصرها ، وهى تغمغم :

ـ صدقت .

وحملت حقيبتها ، قبل أن تستطرد :

ـ وهذا يعنى أنه من الضرورى أن أجرى اتصالًا خاصًا بأقرب أصدقائه .

ابتسم الطبيب مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ لا بأس ، ولكن أبلغيه ألا يهرع إلى هنا .. إنه لن يستعيد وعيه قبل صباح الغد .

ابتسمت ، وهى تقول :

ـ لن يصنع هذا فارقًا يا سيدى الطبيب ، فلو أن هذا الصديق الذى أعنيه ، قد هرع إلى هنا ، بأسرع وسيلة ممكنة ، لما وصل قبل صباح الغد .

رفع حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ لماذا ؟.. ألا يقيم فى (القاهرة) ؟

هزت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

ـ ولا فى (مصر) كلها يا سيدى .. إنه هناك ، عبر المحيط ، فى (كيواوا) المكسيكية .

قالتها وقلبها يخفق فى قوة ، وقد استعاد ذهنها صورة الرجل الذى تحب ..

صورة (أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

كانت (سونيا) تبدو فاتنة فى تلك الليلة ، فى الحفل الذى أقامته فى قصرها ، لعدد من كبار مشاهير الفن والسياسة فى (نيويورك) ، حتى أنها كانت ـ باعتراف الجميع ـ أكثر تألقًا من تلك المصابيح الملونة الضخمة ، التى زينت حديقة القصر ، وأضاءتها كما لو أن الشمس قد عادت إلى الشروق ، بعد مغيبها بعدة ساعات ..

وخلبت ابتسامتها الساحرة لب العديدين ، كما أثار

جمالها الطاغى غيرة النساء والفتيات ، وبهر البذخ ، الذى أحاطت به الحفل ، الكبار قبل الصغار ، فأحاط بها عدد كبير من الفنانين ، وانحنى أحدهم يلثم أصابعها بقبلة حارة ، وهو يهتف :

ـ سيدتى .. جمالك يصيب قلبى بسهام نارية ملتهبة .

ضحكت ، وهى تقول :

ـ تمامًا مثلما يفعل صوتك الدافئ بقلبى يا عزيزى (فرانك) .

هتف مبتسمًا :

ـ قلبك أنت ؟!.. إننى إذن أكثر رجال العالم حظًا .

همّ آخر بالتعليق على عبارته ، عندما جاء خادم (سونيا) الخاص ، وانحنى على أذنها ، هامسًا :

ـ هناك مكالمة عاجلة للغاية من مستر (بورسالينو) يا سيدتى .. وهذا هو التعبير الذى استخدمه بالضبط .

حافظت على هدوء ملامحها ، وهى تقول :

ـ لا بأس .. سأتحدث إليه .

ثم ابتسمت للمحيطين بها ، قائلة :

ـ معذرة أيها السادة .. أنتم تعلمون مشاكل العمل .. ولكننى سأعود سريعًا .. هذا وعد .

انهالوا عليها بعبارات المجاملة ، وهى تعود إلى حجرة

مكتبها ، واحتفظت هى بابتسامتها الساحرة ، وهى تتلقى تحيتها على كل من تلتقى بهم ، حتى بلغت الحجرة ، فأغلقتها خلفها فى إحكام ، وتلاشت ابتسامتها ، وهى تعقد حاجبيها ، وتقول فى صرامة :

ـ أتعشم أن يكون ما لديك عاجلًا وخطيرًا بالفعل يا (تونى) ، فقد أزعجتنى فى منتصف الحفل .

هتف (تونى) فى انفعال :

ـ لقد انكشف أمر عميلنا فى (القاهرة) .

ازداد انعقاد حاجبيها فى شدة ، وهى تقول :

ـ كيف ؟

أجابها فى سرعة :

ـ لقد ارتكب خطأ ما ، جعله يضطر إلى إطلاق النار على أحد الفنيين فى المخابرات المصرية ، اسمه (قدرى) .

انتفض جسدها كله ، وهى تقول :

ـ (قدرى) ؟!.. أأنت واثق ؟

أجابها فى حرارة :

ـ تمام الثقة يا سيدتى .. لقد سجلت كل ما أخبرنى به الرجل كالمعتاد .. المهم الآن أن (قدرى) هذا يرقد فى المستشفى ، وقد نجا من الموت ، ولكن ما إن يستعيد وعيه ، حتى يكشف أمر رجلنا ، فينتهى تمامًا .

قالت فى حزم :

ـ لا داعى لأن يستيقظ إذن ..

قال فى حذر :

ـ هل تعنين .. ؟

قاطعته فى صرامة :

ـ نعم .. اتصل برجلنا فورًا ، وقل له : إن الوسيلة الوحيدة لنجاته ، هى ألا يستيقظ (قدرى) أبدًا .. هل فهمت ؟

وأنهت المحادثة فى بساطة ، بعد أن أصدرت حكمها بالإعدام على (قدرى) ، ولم تلبث أن عادت إلى الحفل ، وهى ترسم ابتسامتها الساحرة على شفتيها مرة أخرى .. وبكل هدوء ..

★ ★ ★

لم يكد (أكشن مايكل) يصل إلى (كيواوا) ، ويستقرّ فى فندقها الوحيد ، ذى النجوم الثلاث ، حتى سمع دقات منتظمة على باب حجرته ، فاستلّ مسدسه فى سرعة ، وقال فى حذر :

ـ من الطارق ؟

أتاه صوت مألوف ، يقول :

ـ إنه أنا يا مستر (مايكل) .

التقى حاجباه فى دهشة ، وهو يفتح الباب ، قائلًا :

ـ (برنارد) ؟!.. ما الذى أتى بك فى هذه الساعة ؟.. وكيف عرفت مكانى ؟

أغلق (برنارد) الباب خلفه ، وهو يقول :

ـ إننى أنتظر قدومك بفارغ الصبر .

سأله (مايكل) :

ـ لماذا ؟.. هل انتهت المهمة ؟

عقد (برنارد) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لقد خدعتنا يا مستر (مايكل) .

رفع (مايكل) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ خدعتكم ؟!.. ماذا تعنى ؟

أجابه (برنارد) فى حدة :

ـ لقد أرسلتنا إلى هنا ، دون أن تبلغنا بخطورة الخصم وقوته الحقيقية ، مما جعل عامل المفاجأة سلاحًا له ، لا لنا .

هتف (مايكل) فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟ .

أجابه غاضبًا :

ـ لقد هاجمنا ذلك الرجل ، ونحن نظنه مجرد مليونير أسبانى ، أو رجل أعمال منافس ، يرغب من استأجرنا فى إزاحته عن طريقه ، ولهذا بدأنا الهجوم بشكل تقليدى ،

متصورين أنه سيصاب بصدمة من جراء المفاجأة ، وتشلّ حركته، وينهار، فلا يكون علينا سوى اقتناصه، وتصفيته .

سأله (مايكل) ، وقد استحال توتره ذعرًا :

ـ وماذا حدث ؟

لوّح (برنارد) بذراعيه ، وهو يقول :

ـ لقد فوجئنا برجل محترف ، من طراز خاص ، امتصّ المفاجأة فى سرعة مذهلة ، وواجه رصاصاتنا وقنابلنا بقلب فولاذى وعزيمة لا تلين .. هل تصدّق ؟.. لقد ألقينا عليه اثنتى عشرة قنبلة ، استقرّت أربع منها فى كابينة القيادة ، ولكنه حملها فى بساطة ، وأعادها إلينا ، ثم انطلق بالطائرة ، قبل أن تنفجر القنابل الثمان الأخرى !.. هل رأيت شيئًا كهذا من قبل ؟!

صاح به (مايكل) :

ـ المهم .. ماذا حدث ؟

قال (برنارد) فى ثورة :

ـ حدث أننا فقدنا سبعة رجال .. (كريس) ، و (ستانلى)، و (ويلى) ، و (ميرك) ، و (ميكى) ، و (دينو) ، و (نيومان) .. فقدناهم جميعًا بسبب رجل واحد .

صرخ (مايكل) فى وجهه ، وقد نفد صبره :

ـ المهم ماذا فعلتم به ؟.. هل قتلتموه ؟

تراجع (برنارد) خطوة ، وتطلّع إليه فى توتر ، وهو يقول :

ـ لقد أصاب سياراتنا ، وهرب بإحداها عبر الصحراء .

صرخ (مايكل) :

ـ هرب ؟!.. أتعنى أنكم فشلتم فى الظفر به ؟

أجابه (برنارد) فى عصبية :

ـ نعم .. لقد ساعده حظه هذه المرة ، ولكن السيارة لم تكن تحوى الكثير من الوقود ، ولولا غروب الشمس ، وافتقارنا إلى هليوكوبتر للبحث ، لكنا قد ظفرنا به الآن .

صاح (مايكل) فى غضب :

ـ تظفرون به ؟!.. السؤال الآن هو : أين ذهب يا رجل ؟.. أين هو الآن ؟

ولم يدر (مايكل) لحظتها كم كان على حق ..

لو أن (برنارد) ورجاله لم يظفروا بـ (أدهم صبرى) ، فأين هو الآن ؟..

أين ؟

* * *

٦ ـ بلا أدنى أثر ..

أطبقت أصابع (منى) على سمّاعة الهاتف فى قوة ، تعكس توتر أعصابها الواضح ، وهى تستمع إلى صوت الجرس المميّز ، فى الجانب الآخر ، ثم غمغمت فى توتر :

ـ لماذا لايستجيب أحد إلى نداء الهاتف ؟.. المفروض أن يكون (بيترو) هناك ، أو أحد الخدم الآخرين .. إننا نسبقهم بست ساعات تقريبًا ، وهذا يعنى أنهم الآن فى العاشرة مساءً تقريبًا .. ربّاه !.. هذا يثير القلق بالفعل .

أنهت محاولتها العاشرة للاتصال بـ (أدهم) فى (كيواوا) ، واستقلّت سيارتها الصغيرة ، عائدة إلى المستشفى ، وسط الطرق الخالية من المارة تمامًا ، فى الرابعة صباحًا ، وتثاءبت فى إرهاق ، وهى تغمغم لنفسها :

ـ من حسن الحظ أن السيّد المدير قد وافق على منحى إجازة استثنائية ، لمدة يومين ، حتى يمكننى الاطمئنان على (قدرى) .. كم أتمنى أن يستعيد وعيه بسرعة .

قفز تفكيرها دفعة واحدة إلى (أدهم) ، فقالت فى قلق :

ـ ولكن أين (أدهم) ؟.. وأين خدمه والعاملون فى مزرعته ؟

وزفرت فى قوة ، وهى تستطرد :

ـ لاداعى للقلق يا (منى) .. ربما انقطعت أسلاك الهاتف هناك لسبب أو لآخر .. أنت تعلمين أنها تمتدّ عبر الصحراء الجبلية ، وأسباب تلفها لا حصر لها .

حاولت بعبارتها الأخيرة أن تخفى ذلك القلق العارم ، الذى تصاعد فى أعماقها ، وهى تدلف بسيارتها إلى المستشفى ، ثم تستقل المصعد إلى الطابق الرابع ، حيث يرقد (قدرى) ، ولم تكد تصل إلى ذلك الطابق ، حتى تلفّتت حولها ، وهمست لنفسها :

ـ لايوجد أحد هنا .. عظيم .. يمكننى إذن أن أتسلّل إلى حجرة العناية المركّزة ، وألقى نظرة على (قدرى) ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، ثم هتفت :

ـ ولكن أين جندى الحراسة ؟.. أليس من المفروض أن يكون هنا ؟

لم تمنح نفسها فرصة لمزيد من التوتر والقلق ، بل انتزعت مسدسها مباشرة ، واندفعت نحو حجرة العناية المركّزة ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !.. (قدرى) .

اقتحمت الحجرة فى انفعال ، ورأت الممرضة والحارس جثتين هامدتين داخلها ، فى حين كان هناك رجلان فى

ثياب الأطباء ، ينحنيان على (قدرى) ، وأحدهما يهمّ بقطع خرطوم الأكسجين ، الذى يمده بالهواء ، فصرخت بهما (منى) :

ـ توقفا .

استدار إليها الرجلان فى سرعة ، ورفع أحدهما مسدسه ، ليطلق النار عليها ، إلا أنها عاجلته برصاصة من مسدسها ، انتزعته من مكانه انتزاعًا ، وضربت به الحائط ، قبل أن ينكفئ على وجهه جثة هامدة ، فى حين تراجع الثانى ، وانطلق يعدو عبر الباب الآخر ، الذى يتصل بحجرة الأطباء ..

وبلا تردُّد ، انطلقت (منى) خلفه ، وركضت بكل قوتها فى ممرات المستشفى ، وهو يعدو أمامها فى سرعة ، حتى بلغا نهاية الممر ، ولم يجد الرجل أمامه سوى نافذة زجاجية كبيرة ، فاستدار يواجه (منى) فى وحشية ، هاتفًا :

ـ تراجعى أيتها المرأة ، أو ..

وثبت تركله فى فكه ، وهى تقول :

ـ آنسة أيها الغبى .

تراجع الرجل مع ركلتها ، ثم صاح :

ـ إذن فأنت تفضلين القتال اليدوى .. فليكن .



ورأت الممرضة والحارس جثتين هامدتين داخلها ، فى حين كان هناك رجلان فى ثياب الأطباء ..

وأطلق صرخة قتالية عنيفة ، وهو ينقضّ عليها ، ويهوى على عنقها بضربة من حافة يده ، يمكنها أن تشق حجرين كبيرين ، ولكنها تجاوزت الضربة ، وتفادتها فى مهارة مدهشة ، وهى تقول :

- فليكن ماذا ؟

ثم أصابت عنقه بضربة فنية ماهرة ، وقفزت تدور حول نفسها فى الهواء ، قبل أن تسدّد ركلة قوية إلى أنفه ، مستطردة :

- أم أنها مجرّد عبارة غبية .

دفعت الضربة الرجل إلى الخلف فى عنف ، فارتطم بالنافذة الزجاجية الكبيرة ، التى تحطمت بدوى شديد ، وكاد الرجل يسقط عبرها إلى الخارج ، لولا أن وثبت (منى) نحوه ، وجذبته فى قوة إلى الداخل ، قائلة :

- ليس الآن .. إننا نحتاج إلى بنك معلومات .

ولكن الرجل ركلها فى صدرها ، وهو يقول :

- ومن قال إننى كذلك ؟

تراجعت فى رشاقة ، ثم انقضت عليه بحركة ماهرة ، ولكمته فى أنفه وفمه وأذنه ، وهى تقول :

- أنا أقول هذا .

ترنح الرجل من قوة الضربات ، فى حين تعالى وقع

أقدام رجال أمن المستشفى ، وهم يهرعون إلى حيث المعركة ، فاستلّ الرجل من جيبه مدية ، وهو يقول فى وحشية وشراسة :

- ابتعدى أيتها المرأة ، وإلا ذبحتك كالنعاج .

وفى نفس اللحظة ، وصل رجال الأمن ، بالمستشفى ، وصوّب أحدهم مسدسه إلى الرجل ، صائحًا :

- ألق مديتك يا رجل ، وإلا أطلقنا النار .

ولكن الرجل أطلق صرخة وحشية عجيبة ، وانقضّ على (منى) ، التى صاحت وهى تستعد للتصدّى له :

- لاتطلقوا النار .

ولكن الرجال الذين أثارهم ذلك الموقف ، كانوا قد ضغطوا أزندة مسدساتهم بالفعل ..

وانطلقت رصاصاتهم العصبية ..

واخترقت جسد الرجل ..

وفى هذه المرة ، كانت صرخة الرجل أشبه بثور يُذبَح ، وهو يتراجع فى عنف ، مع اختراق الرصاصات لجسده ، ثم يهوى فى النافذة المكسورة ، من ارتفاع أربعة طوابق ..

وصرخت (منى) :

- لماذا ؟.. لماذا قتلتموه ؟

أجابها أحدهم شاحب الوجه :

ـ لقد .. لقد كان يهدّدك بمديته .. أليس كذلك ؟

لم يكن هناك مجال لمناقشتهم ، مما فجّر السخط فى أعماقها ، فانطلقت تعدو إلى المصعد وهبطت بسرعة إلى الطابق الأرضى ، وأسرعت إلى حيث سقط الرجل ، والتف حوله العاملون ، وانحنت تفحصه ، وهى تصيح بهم :

ـ ابتعدوا .. امنحوه فرصة ليتنفس .

أدار الرجل عينيه إليها ، دون أن يتمكن من تحريك عضلة واحدة فى جسده كله ، فسألته فى لهفة :

ـ من أرسلك لتفعل هذا ؟.. من استأجرك ؟

تطلّعت عيناه إليها لحظة ، ثم خبا فيهما ضوء الحياة إلى الأبد ، فهتفت محنقة :

ـ أيها الوغد .

حدّقت فيها ممرضات المستشفى فى ارتياع ، وقد هالهن أن تخاطب رجلا لقى مصرعه على التو ، بهذه الكلمة الغاضبة العنيفة ، ولكنها تراجعت في مرارة ، وهى تستطرد فى سخط :

ـ كان ينبغى أن يتركوه حيًا .. المفروض أن يمنحوه الفرصة ليدلى بما لديه . كل ما كنا نحتاج إليه مجرّد فرصة .. فرصة واحدة ..

ثم تجمّدت فى مكانها بغتة ، وهتفت فى هلع :

ـ يا إلهى !.. (قدرى) .. لقد تركناه وحده .

واندفعت تعدو بأقصى سرعة إلى داخل المستشفى مرة أخرى ، ولم تنتظر هبوط المصعد هذه المرة ، وإنما قفزت درجات السلم قفزًا ، حتى بلغت الطابق الرابع ، وهى تلهث فى شدة ، من فرط التعب والانفعال ، واندفعت مرة أخرى إلى حجرة العناية المركّزة ، وهى تقول لنفسها فى توتر بالغ :

ـ ربّاه !.. لو أننى من استأجرهما ، فلن أجد فرصة أفضل من هذه ؛ للتخلص منه ، والجميع مشغولون بما حدث .

اقتحمت الحجرة فى عنف ، والتقى حاجباها فى شدة .. لقد كان هناك رجل آخر ، يرتدى معطف الأطباء ، ويخفى وجهه بكمامة جراحية ، وهو يهم بحقن (قدرى) بشىء ما ..

وهتفت (منى) :

ـ انتظر لا تفعل .

وبحركة عنيفة ، ألقى الرجل المحقن نحوها ، واندفع محاولا الفرار ، ولكنها انطلقت خلفه كالصاروخ ، وقفزت عبر أحد أجهزة العناية الفائقة ، لتحيط وسطه بذراعيها ،

ثم تسقط معه أرضًا ..
واستدار إليها الرجل ، محاولًا مقاومتها ، إلا أنها هوت على فكه بثلاث لكمات متتالية قوية ، أفقدته الوعى على الفور ، ثم جذبت الكمامة عن وجهه ، قائلة :
ـ هيا .. أرنى من أنت .
ولم تكد تكشف وجهه ، حتى شهقت فى قوة ..
لقد كان أحد موظفى الإدارة بالفعل ..
إنه (ناصر) .. (ناصر خيرى) ..
الجاسوس ..

★ ★ ★

وقفت (سونيا جراهام) فى جزيرتها الصغيرة ، تراقب فى زهو تلك القلعة ، التى تجرى أعمال البناء فيها على قدم وساق ، فوق قمة الجبل الوحيد ؛ الذى يتوسّط الجزيرة ، وقال مهندس البناء ، وهو يعرض عليها الرسوم الهندسية :
ـ لقد وضعنا التصميمات كما طلبت تمامًا يامسز (آرثر) .. حتى حرف السين على قمة القلعة ، والدائرة الملساء الزلقة ، التى تحيط بها .. صدقينى ياسيّدتى .. هذا أعجب وأقوى بناء صنعناه ، منذ الحرب العالمية الثانية .. إنه ـ والحق يقال ـ حصن حصين ، يصلح

للتصدّى لجيش كامل .
غمغمت فى ارتياح :
ـ عظيم .. هذا ما أردته بالضبط .
ثم أضافت فى جذل عجيب :
ـ ولكن بقى شىء واحد .. أريد منك أن تحيط حرف السين هذا بأفعى دائرية ، تلتهم نهاية ذيلها بفكيها .
بدت دهشة كبيرة على وجهه ، وهو يقول :
ـ وما الذى يعنيه هذا ؟
ابتسمت فى غموض ، وهى تهزّ كتفيها ، قائلة :
ـ مجرّد رمز مثير .. ألا يبدو لك كذلك ؟
هتف بسرعة :
ـ آه .. بالتأكيد ياسيّدتى .. بالتأكيد .
اتسعت ابتسامتها المفعمة بالظفر والزهو ، وهى تسأله :
ـ ومتى ينتهى البناء ؟
أجاب فى حماس :
ـ إننا نستخدم أفضل وأقوى المعدات ، ولم يعد أمامنا سوى أسبوع واحد ، وتتسلّمين القلعة جاهزة للعمل .
ثم مال نحوها ، مستطردًا :
ـ وسيظل الأمر سرًا ، كما تعهّدت الشركة .

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

ـ وماذا عن هذا الجيش من العمال ؟.. كيف تضمنون سكوته ؟

أجابها بسرعة :

ـ إنهم لا يعرفون حتى إلى أين تنقلهم الطائرات .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

ـ ولقد أقنعناهم أنها منطقة مجهولة ، فى المحيط الهادى ، وهذا ما سيرددونه ، عندما يحلو لهم الزهو بأسرارهم .

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ رائع .. إذن فلم يتبق سوى أسبوع واحد ، على مولد هذا الكيان الجديد .

سألها مبتسمًا :

ـ شركة إليكترونيات أخرى .

تألقت عيناها ، وهى تقول :

ـ بل شىء أعظم من هذا بكثير .

وتحوّل بريق عينيها إلى بركان ملتهب ، وهى تضيف :

ـ شىء سيهتز له العالم كله .

حدّق المهندس فى وجهها ، وهى تنطق عبارتها الأخيرة ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وقد

أدرك الآن فقط ما يُشير إليه رمز الأفعى، التى تحيط بحرف السين ..

أدركه تمامًا ..

* * *

ارتفع أزيز هليوكوبتر صغيرة ، مزوّدة بمدفعين آليين ، وهى تجوب تلك الصحراء الجبلية ، التى تحيط بمدينة (كيواوا) ، وعلى متنها (برنارد) و (ماثيو) ، وعيونهما تفحص المكان باهتمام عصبى ملحوظ ، و (ماثيو) يقول :

ـ أين ذهب ذلك اللعين ؟.. إننا نفحص المكان منذ فترة طويلة .

أجابه (برنارد) فى حزم :

ـ إنه لم يصل إلى أية قرية ، من القرى المحيطة بالمنطقة ، ولم تره معظم المزارع ، التى مررنا بها ، وهذا يعنى أنه ما زال فى قلب الصحراء .

صاح (ماثيو) :

ـ أين إذن ؟

عضّ (برنارد) شفتيه فى حنق ، وهو يقول :

ـ سنجده .. لن يهدأ لى بال حتى نعثر عليه .

ضمّ (ماثيو) قبضته فى غضب ، وهو يقول :

- وعندئذ سأعتصر جسده بلا رحمة .
عقد (برنارد) حاجبيه ، وهو يقول :
- ولماذا لم تفعل ؟
هتف (ماثيو) :
- وهل سقط فى قبضتنا قط ؟
أجابه (برنارد) ، فى سخرية عصبية :
- لو أنكم أكثر خبرة ، لحدث هذا بالفعل .
قال (ماثيو) فى حدة :
- لا تتحدث عن الخبرة يا (برنارد) .. أنت تعلم أننى و (فيدرك) و (روكو) لا نقل عنك خبرة ، فى قتال الصحارى والغابات .. لقد خضنا معًا عشرات الحروب ، فى مختلف أنحاء العالم .. لقد كنا نقاتل دومًا لحساب من يدفع أكثر ، أما الباقون ، فهم مجرد ..
قاطعه (برنارد) فجأة :
- اصمت .
قال فى غضب :
لماذا ؟.. هل تخشى إغضاب أرواح الموتى ؟
أشار (برنارد) إلى نقطة بعيدة ، وهو يقول :
- انظر .. هناك .
قالها وهو ينطلق نحو تلك البقعة فى سرعة ، فحدق فيها (ماثيو) لحظة ، ثم انتبه إلى تكوينها ، فهتف :

- إنها السيارة .. سيارتنا .
جذب (ماثيو) إبرة مدفعه الآلى ، فى حين اتجه (برنارد) إلى السيارة ، التى تمت تغطيتها ببعض الأعشاب الشوكية ، التى تنبت بشكل عشوائى فى الصحراء الجبلية ، وراح يحوم حولها بعض الوقت ، قبل أن يغمغم :
- من الواضح أنها خالية ، ولكن .. ألم تنتبه إلى أمر غريب بشأنها ؟
أجابه (ماثيو) على الفور :
- بلى .. لا توجد آثار حولها ، كما لو أنها نبتت هنا فجأة ، أو هبطت من السماء .. لا آثار إطارات على الإطلاق .
أشار (برنارد) إلى الصحراء ، قائلًا :
- لقد محاها أحدهم عمدًا .. انظر إلى تلك الخطوط ، التى تظهر واضحة فى بعض الأماكن .. لقد ربط أحدهم كومة من الأعشاب الجافة ، فى مؤخرة السيارة ، وقادها إلى هنا ، والأعشاب تمحو الآثار من خلفه .
هتف (ماثيو) فى حنق :
- لقد فعلها ذلك الشيطان :
زفر (برنارد) ، وهو يقول :
- ربما .

صاح به (ماثيو) :

ـ ماذا تعنى بكلمة ربّما هذه ؟.. من سيفعلها غيره ؟

أجابه فى توتر :

ـ لست أدرى ، ولكن السيارة خالية ، ولاتوجد آثار أقدام حولها قط كما ترى ، فكيف غادرها ذلك الرجل ؟

عقد (ماثيو) حاجبيه ، وهو يتمتم :

ـ نعم .. كيف ؟

اقترب (برنارد) من السيارة أكثر ، ثم هبط إلى جوارها ، واقترب منها مع (ماثيو) فى حذر بالغ ، وهما يصوبان إليها مدفعيهما الآليين ، وراحا يفحصان المنطقة المحيطة بها بمنتهى الدقة ، قبل أن يقول (برنارد) فى عصبية :

ـ لايوجد أدنى أثر .

ثم رفع عينيه ، وأدارهما فى المنطقة كلها ، قبل أن يضيف فى حدة :

ـ هناك سر غامض ، وراء هذا الموقف .

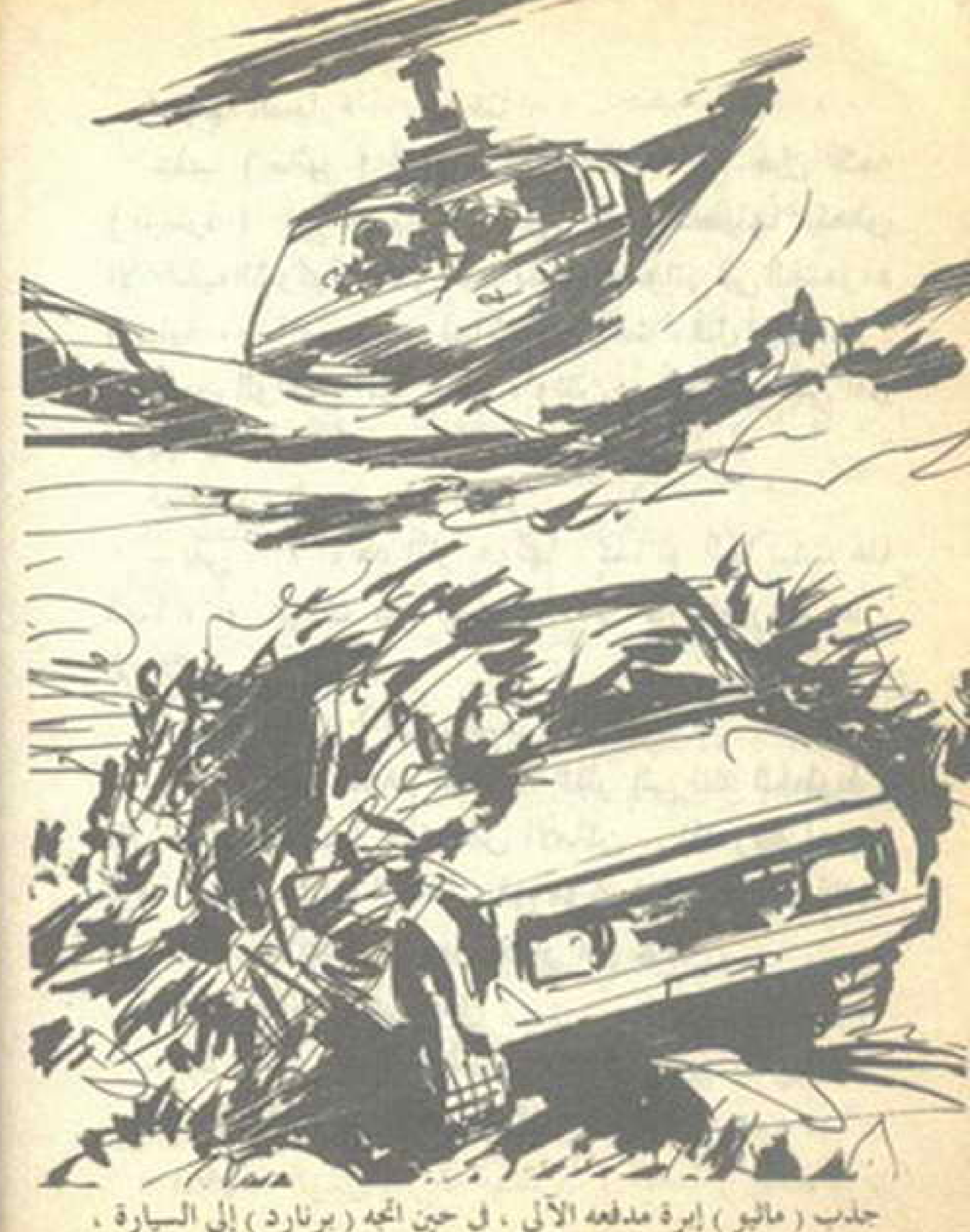
قال (ماثيو) فى حنق :

ـ بالتأكيد .. ولكن ماهذا السر ؟

وبقى سؤاله معلقًا وسط الصحراء الجبلية .

وبلا جواب ..

★ ★ ★



جذب (ماثيو) إبرة مدفعه الآلى ، فى حين اتجه (برنارد) إلى السيارة ، التى تمت تغطيتها ببعض الأعشاب الشوكية ..

٧ ـ ماريانا ..

كان كل شىء يدور ويدور ، فى رأس (أدهم) ، ثم راحت حركة الدوران تقلّ تدريجيًا ، حتى توقّفت تمامًا ، وراح ذهن (أدهم) يستعيد صفاءه فى بطء ، قبل حتى أن يفتح عينيه ..

أوّل ما شعر به ، هو أنه يرقد على فراش وثير ، وفوقه أغطية ناعمة نظيفة ، داخل حجرة هادئة ، تفوح فيها رائحة عطر خفيف منعش ..

وعلى مقربة منه ، كان يدور حديث هامس بالأسبانية ، بين رجل وامرأة ، وكأنما يخشى صاحباه أن يزعجاه ، لو ارتفع صوتهما بعض الشىء ..

وبدا الصوتان مألوفين كثيرًا ، حتى أن (أدهم) فتح عينيه فى بطء ، وهو يتطلّع إلى صاحبى الحديث ، فانتفضت المرأة فى مقعدها ، وهبّت إليه ، وهى تهتف فى سعادة واضحة :

ـ لقد استعاد وعيه يا أبى .

بدت صورتها مهتزّة أمام عينى (أدهم) لحظات ، ووالدها يسرع إليه ، ويهتف بصوت متهدّج :

ـ حمدًا لله ، حمدًا لله .

ثم فجأة ، اتضحت الصورة ..

وارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ (ماريانا) ؟!

تفجّرت الدموع من عينى المكسيكية الحسناء ، وهى تقول :

ـ ما زلت تذكرنى ياسنيور (أميجو) .. حمدًا لله على سلامتك .. حمدًا لله .

ثم دفنت وجهها فى صدره ، وراحت تبكى فى حرارة ، فى حين رفع هو عينيه إلى والدها ، وقال فى حيرة :

ـ (برونكو) .. كيف اتفق أن نجتمع مرة أخرى ؟.. ألم ترحلا إلى (مكسيكو سيتى) منذ فترة طويلة ؟.. ثم ما الذى أتى بى إلى هنا ؟

مسح (برونكو فيلا) ، الممرض القديم بالجيش المكسيكى ، دموعه ، وهو يقول فى حنان أبوى عجيب :

ـ إنها قصة طويلة يا ولدى ، وسأرويها حتمًا على مسامعك ، ولكن بعد أن تغتسل ، وتتناول وجبة جيّدة ، فأنت فاقد الوعى منذ عثرنا عليك مع غروب شمس أمس .

هتف (أدهم) :

ـ إذن فأنتما ...

قاطعه فى رفق ، وهو يربّت على كتفيه :

ـ نعم ياولدى .. نحن اللذين عثرنا عليك ، ونحن نقطع

الصحراء ، بسيارتنا (الجيب) .

ثم التفت إلى ابنته ، قائلًا :

- (ماريانا) .. سنيور (أميجو) بحاجة إلى الاغتسال ، وتناول الطعام .

انتفضت (ماريانا) ، وابتعدت عن (أدهم) فى خجل ، ثم قالت وهى تغادر الحجرة فى سرعة :

- على الفور يا أبى .. على الفور .

ولم تمضِّ نصف الساعة ، حتى كان (أدهم) قد اغتسل ، واستعاد نشاطه ، وارتدى ثوبًا مكسيكيًا ريفيًا ، من ثياب (برونكو) ، وجلس مع هذا الأخير وابنته (ماريانا) ، يتناول طعام الإفطار ، وهو يقول :

- والآن ماذا حدث بالضبط ، .. آخر ما أذكره هو أنك رحلت مع ابنتك إلى (مكسيكو سيتى) ، بعد أن ابتاع (كال) مزرعتك(*) ..

أجابه (برونكو) :

- هذا ما حدث بالفعل يا سنيور (أميجو) ، ولقد افتتحت متجرًا كبيرًا هناك ، وراجت تجارتى وازدهرت ، وصرت واحدًا من أصحاب الثروات الصغيرة .

ثم تطلع إلى ابنته ، التى لم تستطع إخفاء سعادتها ،

(*) راجع قصة (معركة القمة) .. المغامرة رقم (٨٣) .

وهى تطعم (أدهم) ، وتتطلع إليه فى وله واضح ، واستطرد :

- ولكن (ماريانا) لم تشعر بالسعادة قط هناك .

سأله (أدهم) :

- لماذا ؟.. (مكسيكو سيتى) أكثر تحضرًا من هنا بالتأكيد .

وافقه (برونكو) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- هذا صحيح ، ولكنه الحنين .

تضرج وجه (ماريانا) بحمرة الخجل ، فاستدرك بسرعة :

- الحنين إلى الأرض والوطن .. إلى المنشأ والأصل وحياة المزارع .. إلى الهواء النقى والهدوء .. باختصار .. الحنان إلى الطبيعة ومسقط الرأس .

تنهد (أدهم) ، وهو يقول :

- نعم .. أفهم هذا جيدًا .

تابع (برونكو) :

- وهكذا اتخذنا قرارنا بالعودة إلى (كيواوا) .

سأله (أدهم) :

- هل زايلكما الخوف ؟

ابتسم (برونكو) ، وهو يقول :

- الفضل لك ياسنيور (أميجو) .. لقد انتهت أيام (كال) ، ومنظمته . ولم يعد الشر يخيم علـى (كيواوا)(*) .

وتطلّع إليه بنظرة امتنان ، قبل أن يتابع :

- ثم إننا كنا نشعر بالأمان ؛ لأنك هنا .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

- يا للمفارقة !.. إذن فقد عدتما إلى (كيواوا) ، وأنتما تشعران أننى سأكون هنا لحمايتكما ، وعلى الرغم من هذا ، فأنتما تنقذان حياتى للمرة الثانيـة(**) ، ألا يبدو هذا مضحكًا ؟

أجابه (برونكو) :

- كانت مصادفة مدهشة يا سنيور (أميجو) .. لقد ابتعنا تلك المزرعة ، على مسافة ثلاثة كيلو مترات من المنطقة التى فقدت عندها وعيك ، وكنا نتفقّد المكان حولها ، عندما سمعنا دوى رصاصات مدفع آلى ، فأسرعنا عائدين إلى المزرعة ، وفوجئنا بك فاقد الوعى ، وإلى جوارك جثة ذئب ضخم ، اخترقت رصاصاتك جسده .

التقى حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

(**) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١) .

- هل تعنى أن السيارة على مقربة من هنا ؟

هتفت (ماريانا) فى حماس :

- كلا .. اطمئن .. لقد حملها أبى بعيدًا .. بعيدًا جدًا .

قال (أدهم) فى حذر :

- ليس من العسير اقتفاء آثارها .

ابتسم (برونكو) ، وقال :

- ليس عندما نتعمّد إخفاء هذه الآثار يا سنيور (أميجو) .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

- لقد ربطت مقدّمة سيارتك فى مؤخرة سيارتى ، ثم علّقت كمية من الأعشاب الجافة فى نهاية سيارتك ، وسحبتها لمسافة ثلاثين كيلو مترًا ، فى اتجاه الجنوب الغربى ، بحيث يبدو وكأنك كنت تتجه إلى (لوس موتشيس) ، وليس إلى (كيواوا) ، وهناك أوقفتها ، وغطيتها ببعض الأعشاب العشوائية ، ثم نقلت الأعشاب الجافة إلى مؤخرة سيارتى ، وعدت أدراجى ، متخذًا نفس المسار ، الذى اتخذته فى المرة السابقة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- عمل رائع يا (برونكو) .. إنك تتصرّف كمحترف حقيقى .



استرخى (أدهم) فى مقعده ، وهو يقول :
ـ نعم .. أحتاج إلى هذا كثيرًا يا (برونكو) ..

بدت السعادة على وجه (برونكو) ، وهو يقول :

ـ لا تنس أننى كنت ممرضًا فى الجيش المكسيكى يا سنيور (أميجو) .. والعمل فى صفوف الجيش ، يكسب المرء مهارات عديدة .. وبمناسبة التمريض .. لقد فقدت شيئًا من دمائك ، ولكننى حقنتك بنصف لتر من محلول الملح ، ومثله من الجلوكوز المخفف ، ومع بنيتك القوية ، أعتقد أنك ستتغلب على الأمر بسرعة ، وسيستعيد جسدك حيويته ودماءه .

استرخى (أدهم) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ نعم .. أنا أحتاج إلى هذا كثيرًا يا (برونكو) .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ ولكن لماذا أدركت على الفور ، ضرورة إخفاء السيارة ؟.. ألم يجل بخاطرك أنها سيارتى بالفعل .

أجابه (برونكو) :

ـ كان هناك مدفع آلى ياسنيور ، وكان جسد السيارة مثقوبًا بعشرات الرصاصات ، ثم ...

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى خفوت :

ـ ثم إننى أعرفك جيدًا .

تنهد (أدهم) ، وقال :

ـ ولقد صدق حدسك يا (برونكو) ؛ فهناك مجموعة

من الأشرار تطاردنى ، بعد أن دمرت مزرعتى ، وقتلت كل من فيها .

سألته (ماريانا) فى حذر :

- حتى سنيورا (نورما) ؟!

تطلع إليها ، قائلا :

- كلا .. لقد رحلت السنيورا (نورما) منذ زمن ، وحملت معها طفلنا الوحيد ، واختفت تمامًا .

هتفت فى سعادة :

- حقًا ؟!

ثم أدركت ما تحويه كلمتها من مخالفة للذوق السليم ، فتراجعت متمتمة :

- أعنى أننى آسفة لأن هذا ما حدث .

غمغم فى خفوت ، يحمل رنة حزينة :

- لا عليك .. كان ينبغى أن أتوقع شيئًا كهذا .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى اهتمام :

- ولكن لدى من الأسباب مايدفعنى للظن بأن السنيورا وراء كل هذا .. هى التى أرسلت الرجال لتدمير المزرعة وقتلى ، وفرصتى الوحيدة فى العثور عليها ، واستعادة ابنى الوحيد ، هى هزيمة هؤلاء الأشرار ، وتتبع خطواتهم ، حتى أصل إليها ..

وعاد يسترخى على مقعده ، مضيفًا :

- لذا يجب أن أستعيد قوتى قبل مواجهتهم .. كل قوتى .

وأسبل جفنيه فى هدوء ..

★ ★ ★

فرك (ناصر خيرى) كفيه فى توتر بالغ ، وهو يجلس وسط حجرة واسعة ، فى مواجهة مدير المخابرات ، وعدد من رجاله ، وفى صرامة واضحة ، سأله المدير :

- لماذا فعلت هذا ؟

بدا صوته أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :

- كنت .. كنت مضطرًا .

سأله المدير :

- ما أسلوب السيطرة ، الذى استخدموه معك ؟

ترقرقت الدموع فى عينيه ، وهو يقول :

- كان ذلك فى أثناء رحلة (روما) الأخيرة .. لقد التقيت هناك بفتاة جميلة ، وأقمت معها علاقة قصيرة ، ولكنهم سجلوا كل شىء ، و ...

بكى فى مرارة ، قبل أن يتم عبارته ، ولكن المدير سأله فى حزم :

- إنه (الموساد) .. أليس كذلك ؟

هزّ (ناصر) رأسه نفيًا ، فتبادل الرجال نظرة متسائلة ، ثم قال أحدهم :

ـ من إذن ؟.. الـ (سى . آى . إيـه)(*) ، أم الـ (كى . جى . بى)(**) ؟

عاد يهزّ رأسه نفيًا ، ثم مسح دموعه ، وهو يقول :

ـ لاهذا ولا ذاك .. لقد أخبرونى أنها منظمة جديدة .

كانت النظرة التى تبادلها الرجال هذه المرة ، أكثر قلقًا وتساؤلا ، قبل أن يسأله المدير فى شىء من الحذر والترقّب :

ـ ما الذى يعنونه بأنها منظمة جديدة ؟.. وما الدولة التى ينتمون إليها ؟

قال فى انهيار :

ـ إنهم لاينتمون إلى أية دولة .. إنها منظمة خاصة .. منظمة تبيع ما تحصل عليه من أسرار لمن يدفع أكثر .

ثم بدأ جسده يرتجف ، وهو يضيف :

ـ ولكنهم أقوياء .. أقوياء للغاية .. لقد أعطونى أجهزة تصنت بالغة الدقة والصغر ، لأزرعها فى عدة أماكن بالمبنى .

(*) سى . آى . إيه – المخابرات المركزية الأمريكية .

(**) كى . جى . بى – المخابرات السوفيتية .

سأله (أحدهم) فى توتر :

ـ وأين هذه الأجهزة ؟

عاد يبكى ، مجيبًا :

ـ لقد زرعت بعضها بالفعل ، وسأرشدكم إليها كلها ، ومازلت أحمل جهازين .

وأخرج من جيبه قرصين صغيرين ، أسرع أحد رجال المخابرات يلتقطهما منه ، وناولهما إلى المدير ، الذى عقد حاجبيه فى شدة ، وقال :

ـ ربّاه .. إنها تكنولوجيا متقدّمة للغاية .

ثم رفع عينيه إلى (ناصر) ، وقال فى صرامة :

ـ ما اسم هذه المنظمة يا (ناصر) ؟.. أجب .

ارتعد صوت (ناصر) ، وهو يجيب :

ـ اسمها منظمة (سناك)(*)

تبادل الرجال نظرة مغرقة فى القلق هذه المرة ؛ فقد كان هذا يعنى أنهم يشهدون مولد منظمة جاسوسية جديدة ، فى صراع الأسرار والعقول ..

منظمة (سونيا جراهام) ..

الأفعى .

* * *

(*) كلمة (SNAKE) بالانجليزية تعنى (الأفعى) .

٨ ـ منظمة الأفعى ..

احتقن وجه (مايكل) فى شدة ، وجحظت عيناه فى ارتياع ، وهو يهتف فى وجه (برنارد) :

ـ ماذا تعنى بأنك لم تعثر عليه ؟.. هل فقدتم أثره ؟.. هل اختفى ؟

أجابه (برنارد) فى حزم :

ـ ليس بعد يا مستر (مايكل) .. إنه حتمًا فى المنطقة .

لوّح (مايكل) بذراعيه ، وهو يهتف :

ـ ولكنك تقول : إنك عثرت على السيارة ، فى اتجاه الجنوب الغربى ، وهذا لا يعنى أنه على مقربة من هنا .

قال (برنارد) :

ـ إنها خدعة يا مستر (مايكل) .. خدعة لإبعادنا عنه .

صاح (مايكل) فى حنق :

ـ لا يمكنك الجزم بهذا .

أجابه (برنارد) بلهجة صارمة :

ـ بل يمكننى .. إننا نختلف كثيرًا ، أنت وأنا ، ولكننى أحتل مركز الصدارة ، فى مثل هذه الصراعات بالذات .. إننى خبير بحروب الصحارى والأحراش ، والـ ...

قاطعه (مايكل) فى حدة :

ـ هل سنقضى نهارنا كله فى محاضرة الزهو بنفسك هذه ؟

هزّ (برنارد) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا يا مستر (برنارد) .. كل ما أردت قوله هو أننى أشم رائحة الخدعة فور رؤيتها ؛ والشخص الذى صنع هذه الخدعة لم يكن محترفًا .. صحيح أنه ذكى إلى حد كبير ، ولكنه ليس خبيرًا بما يفعل ، فلقد اهتمّ كثيرًا بإزالة كل الآثار من حول السيارة ، حتى أن خدعته بدت أوضح مما ينبغى .

سأله (مايكل) فى لهفة :

ـ ماذا تقترح إذن ؟

اعتدل (برنارد) ، وشدّ قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

ـ هذا الشيطان يختفى فى واحدة من المزارع ، التى تحيط بالمدينة .. وربما يمتلك إحداها سرًا ، والوسيلة الوحيدة للعثور عليه ، هى فرض حصار قوى حول المزارع ، وتفتيشها واحدة فواحدة .

قال (مايكل) فى عصبية :

ـ هذا يحتاج إلى جيش كامل .

ارتسمت ابتسامة على طرف شفتى (برنارد) ، وهو يقول :

ـ والجيش يحتاج إلى مال وفير .

أجابه (مايكل) فى حسم :

ـ لا تقلق نفسك بهذا الأمر .

وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يستطرد :

ـ ابدأ فى جمع وتنظيم جيشك يا (برنارد) ، وأخبر الرجال أننا سنمنحهم مكافآت سخيّة .. سخيّة للغاية .. المهم أن ينجحوا فى تنفيذ المهمة .

وبدا شديد العصبية ، وهو يقول :

ـ أريد هذا الرجل يا (برنارد) .. أريده بأى ثمن .

تألقت عينا (برنارد) ، وهو يقول :

ـ اطمئن ياسيد (مايكل) .. ستحصل عليه .

وغادر الحجرة فى حماس ، وهو يستعد لبدء مرحلة جديدة من الصراع ..

مرحلة وحشية ..

* * *

كانت الشمس تبزغ فى الأفق ، من خلف الجبال البعيدة ، وتلقى ضوءها على مزرعة (برونكو فيلا) ، فى الصحراء الجبلية المحيطة بمدينة (كيواوا) ، عندما استيقظت (ماريانا) من نومها فى قلق ، وحاولت أن توقظ والدها ، وهى تهمس متوترة :

ـ أبى .. هناك شخص يتحرك فى الخارج ؟

لم يكد (برونكو) يسمع عبارتها ، حتى هبّ من فراشه ، ووثب يختطف بندقيته ، وهو يقول :

ـ أين ؟

أشارت إلى الخارج ، قائلة :

ـ هناك .. لقد سمعت صوته ، إلى جوار النافذة .

أمسك (برونكو) بندقيته فى قوة ، وغادر حجرته فى حذر ، واتجه إلى مدخل المنزل ، ثم فتح الباب فى سرعة ، واندفع بالبندقية إلى الخارج ..

وفجأة ، أمسكت يد قوية ماسورة مسدسه ، ورفعتها عاليًا ، ثم لم يلبث صاحبها أن أرخى يده ، وهو يقول :

ـ أهو أنت يا (برونكو) ؟

هتف (برونكو) فى دهشة :

ـ سنيور (أميجو)؟!.. لماذا استيقظت مبكرًا هكذا ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ لقد استيقظت منذ ساعة كاملة ، فمن الضرورى أن أزاول بعض التدريبات الرياضية مبكرًا ، حتى يمكننى استعادة لياقتى بسرعة .

سألته (ماريانا) مشفقة :

ـ ولِمَ لا تنتظر ، حتى يحصل جسدك على كفايته من الراحة ؟

هزّ (أدهم) رأسه ، وقال :

ـ الانتظار لا يربح الحروب ياعزيزتى ، ففى وطنى يقولون : « الوقت كالسيف .. إن لم تقطعه قطعك » .

رفع (برونكو) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ فى وطنك ؟!.. ماذا تعنى بهذا القول يا سنيور (أميجو) ؟.. إن وطنك هنا .. فى (كيواوا) .

تنهّد (أدهم) ، وشرد بصره بعيدًا ، وهو يقول :

ـ بل وطنى هناك يا (برونكو) .. عبر المحيط .

خفت صوت (ماريانا) ، وهى تقول :

ـ أنت إسرائيلى .. أليس كذلك ؟

أجابها فى صرامة :

ـ بل مصرى يا (ماريانا) .. مصرى أبًا عن جد .

نطقها فى حزم وفخر ، حتى أن (برونكو) عاد يرفع حاجبيه فى دهشة ، وهو يردّد :

ـ مصرى ؟!

هم بإضافة تعليق آخر ، لولا أن هتفت (ماريانا) فجأة :

ـ انظرا ... هناك .

التفتا إلى حيث تشير ، ثم عقد (أدهم) حاجبيه فى شدة ..

فهناك .. أمام قرص الشمس مباشرة ، كانت هناك طائرتان هليوكوبتر ، تحلقان فوق الصحراء ، وتتجهان نحو المزرعة ، فهتف (برونكو) :

ـ إنهم يتجهون إلينا .

تراجع (أدهم) فى سرعة إلى داخل المزرعة ، وهو يقول :

ـ واصل عملك بشكل تلقائى يا (برونكو) .. إنهم يواصلون بحثهم عنى .

ارتجفت أطراف (برونكو) ، وهو يتظاهر بالعمل فى مزرعته ، فى حين حملت (ماريانا) دلوًا ، واتجهت إلى البئر ، وانحنت تخفى انفعالها فى أعماقه ، وهى تتظاهر بملء الدلو ..

واقترب أزيز الطائرتين فى سرعة ، ثم حلّقتا فوق المزرعة مباشرة ، ولكن (برونكو) لم يجرؤ على رفع عينيه إليهما ، وتركهما تحومان حول المكان لحظات ، قبل أن تواصلا طريقهما دون توقّف .

وتنفس (برونكو) الصعداء ، وهو يقول :

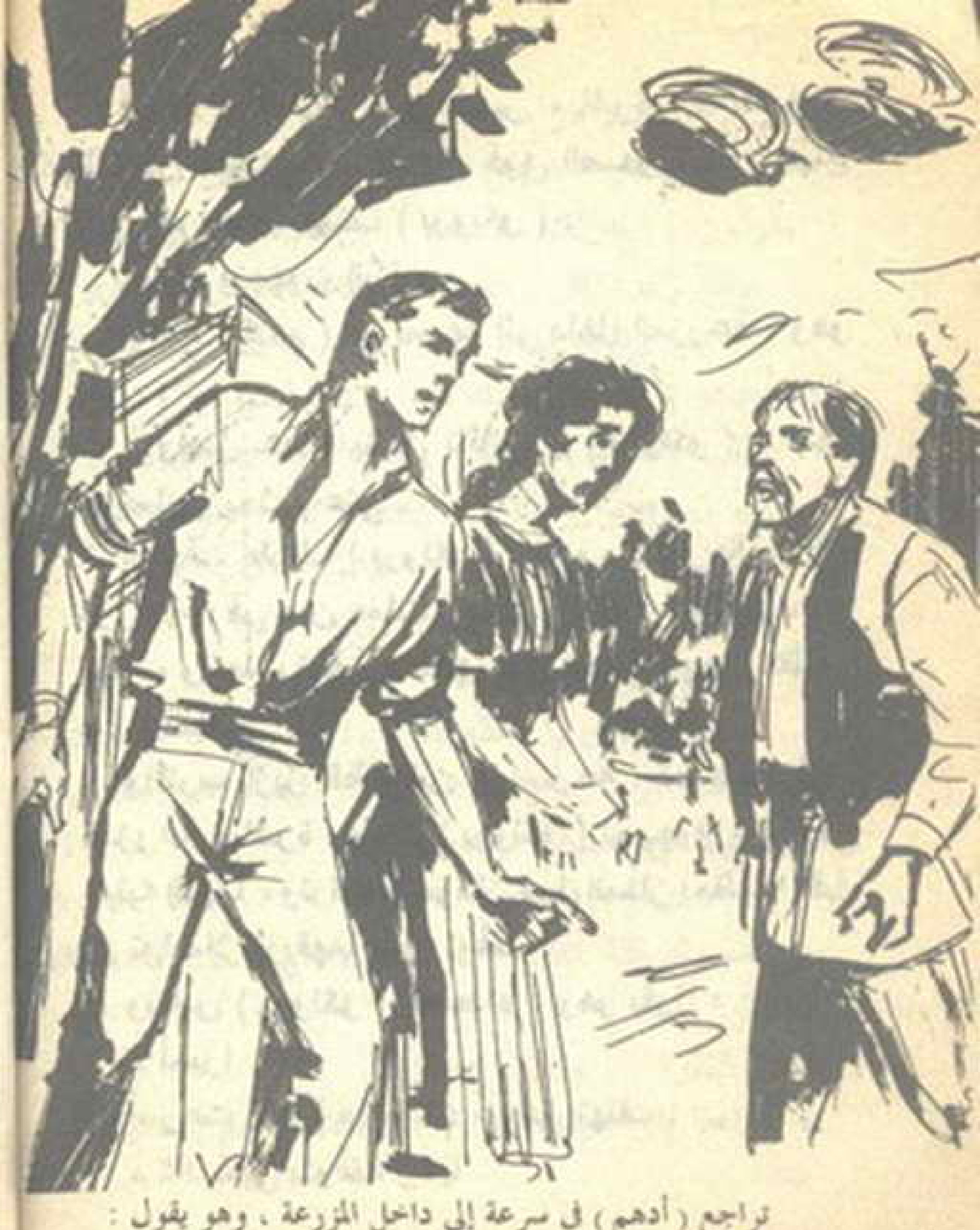
ـ أخيرًا .

أسرعت إليه (ماريانا) ، وهى تهتف :

ـ كاد قلبى يتوقّف رعبًا .

برز (أدهم) من الداخل ، وهو يقول :
- يبدو أن وجودى هنا يورثكما ذعرًا دائمًا .
هتف (برونكو) :
- مطلقًا .
وأكملت (ماريانا) فى انفعال :
- إنما كنا نخشى أن يعثروا عليك .
قال فى هدوء لا يخلو من الحزم :
- إننى أقدّر هذا ، ولكن من الواضح أننى أحتاج إلى تحرّك سريع ؛ فهؤلاء الأوغاد مصرّون على الظفر بى ؛ ومن الخطأ أن أقبع هنا ، فى انتظار حركتهم التالية .
ثم التفت إلى (برونكو) ، مستطردًا :
- اسمع يا (برونكو) .. أريد منك أن تنطلق على الفور إلى المدينة .. اجمع كل ما يمكنك من معلومات ، حول أغراب أمريكيين هناك ، وسأعطيك قائمة ببعض المشتريات .. أريد منك أن تبذل قصارى جهدك لإحضارها .
واعتدل وعيناه تحملان صرامة شديدة ، وهو يقول :
- لقد بدأت المعركة .. وينبغى أن أكون مستعدًا لخوضها .
والتقى حاجباه مرة أخرى ، مع إضافته :
- وعلى أكمل وجه ..

★ ★ ★



تراجع (أدهم) فى سرعة إلى داخل المزرعة ، وهو يقول :
— واصل عملك بشكل تلقائى يا (برونكو) ..

تضاعف القلق كثيرًا فى أعماق مدير المخابرات المصرية ، وهو يراجع اعترافات (ناصر) ، ثم أطلق من أعماقه زفرة حارة ، وقال فى توتر :

ـ وكأن هذا ما ينقصنا .. لم نكد نتنفس الصعداء ، بعد انخفاض نشاط المخابرات السوفيتية ، وانهيار منظمة (سكوربيون) ، حتى تبرز هذه المنظمة الجديدة ، التى تملك تكنولوجيا متطوّرة ، تعجز عنها أجهزة مخابرات كبرى .

قال مساعده الأوّل :

ـ من حسن حظنا أن كشفنا أمرها بسرعة ياسيّدى ، قبل أن تتكشف أمامها أسرارنا .

وأعتقد أنه من الأفضل ألا نعلن هذا .

أسرع آخر يؤيده ، قائلًا :

ـ بالتأكيد .. إننا نستطيع السيطرة على (ناصر) ، وتجنيده لحسابنا ، بحيث يصبح جاسوسًا مزدوجًا ، يتصوّر رجال (سناك) أنه يعمل لحسابهم ، فى حين أننا نحن الذين نوجّهه جيدًا .

سأله المدير :

ـ وهل يمكنك أن تضمن ولاء خائن مثله ؟

أجابه مساعده :

ـ نستطيع أن نجبره على هذا .

سأله زميله :

ـ كيف ؟.. لا تنس أنهم يمتلكون وسيلة للسيطرة عليه أيضًا .

قال المدير :

ـ ربما أمكننا إيجاد وسيلة أكثر قوة .. المهم أن يقودنا إليهم .

قال أحد الرجال فى قلق :

ـ لا يمكننا أن نثق بهذا ياسيّدى ، فـ (ناصر) قد يوافق على العمل لحسابنا ، ولكن ما إن يجد نفسه خارج البلاد ، حتّى ينقلب علينا .. والأمر أكثر خطورة من أن نجازف به ، على هذا النحو .

تراجع المدير فى مقعده ، وتمتم :

ـ أنت على حق .

قال المساعد فى حماس :

ـ لدى فكرة جيّدة .. ماذا لو أرسلنا (ناصر) إليهم ، بعد إقناعه بأننا نعرض عليه العمل لحسابنا كجاسوس مزدوج ، ثم نرسل رجلًا خلفه ؛ ليتعقّبه ويراقبه ، حتى نصل إلى رجال المنظمة ؟

تبادل الرجال هذا الرأى ، ثم قال للمدير :

ـ فكرة لا بأس بها .. أعتقد أننا سنقوم بدراستها ، و ...

بتر عبارته بغتة ، والتفت إلى (منى) ، يسألها :

ـ ماذا هناك أيتها الرائد ؟.. إنك شاردة تمامًا .

انتفضت فى مقعدها ، وقالت :

ـ معذرة ياسيدى .. لقد سرحت بأفكارى لحظات .

سألها فى حذر :

ـ وكيف تسمحين لعقلك بالشرود ، فى أثناء اجتماع رسمى كهذا ؟

أجابت فى توتر :

ـ لم يكن هذا بيدى .. هناك أمر يقلقنى .

قال فى صرامة :

ـ لا داعى للقلق .. لقد وضعنا ثلاثة من أفضل رجالنا لحراسة حجرة (قدرى) فى المستشفى ، وتقرير الأطباء يقول : إنه يتحسن ، و ...

قاطعته فى توتر أشد :

ـ ليس (قدرى) ما يقلقنى يا سيدى .

سألها فى غضب :

ـ من إذن ؟

تنهدت فى عمق ، وقالت :

ـ (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

التفتت إليها عيون الجميع فى تساؤل ، فتابعت :

ـ إننى أحاول الاتصال به منذ يومين ، ومامن مجيب .. وهذا مستحيل ؛ فمن المحتم أن يكون هناك شخص ما فى المزرعة .. أحد الخدم أو الطهاة ، أو حتى أحد عمال المزرعة .. وهذا يقلقنى بشدة ، حتى أننى أخشى أن ...

لم تستطع إكمال عبارتها ، مع تلك الغصة فى حلقها ، ولكن المدير قال فى اهتمام :

ـ هذا أمر يستحق القلق بالفعل .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، وقال :

ـ (عاطف) .. اتصل فورًا برجالنا فى (المكسيك) ، واطلب منهم محاولة الاتصال بـ (أدهم) هناك ، أو الذهاب إلى مزرعته لو اقتضى الأمر .. المهم أن يبلغونا كل ما يتوصلون إليه بأقصى سرعة .

قال أحد الرجال فى ضيق :

ـ سيدى .. لست أعترض على أوامرك ، ولكننى أعتقد أن (أدهم صبرى) بتاريخه الحافل ، قادر على رعاية نفسه ، فى أى مكان بالعالم ، والمشكلة التى نحن بصددها الآن ، أكثر أهمية وخطورة .

أجابه المدير فى حزم :

- لا يوجد تعارض بين هذا وذاك ، فـ (أدهم صبرى) هو الرجل الذى يلزمنا بالضبط ، فى عملية المنظمة الجديدة هذه .

سأله مساعده فى حيرة :

- كيف يا سيِّدى ؟

قال المدير فى لهجة تحمل الحماس والحزم معًا :

- تطوير بسيط للخطة ، فبدلًا من أن نرسل (ناصر) ، وخلفه من يتعقَّبه ويراقبه .. سنجعل (ناصر) يعمل لحسابنا ، وبمنتهى الإخلاص والحماس .. أو بمعنى أدق ، سنرسل شخصًا يبدو وكأنه (ناصر خيرى) ، وعلى نحو تعجز معه أمه نفسها عن كشف الأمر .. ولا يوجد سوى شخص واحد ، فى العالم كله ، يمكنه أن ينتحل شخصية رجل آخر ، بتلك الدقة المذهلة .

هتف مساعده :

- (أدهم صبرى) .

ارتسمت على شفتى المدير ابتسامة كبيرة ، تعلن أن المخابرات العامة المصرية قد قبلت التحدى ، وقرَّرت خوض معركتها ضد ذلك الكيان الجديد ، وتلك المنظمة الوليدة .

منظمة الأفعى ..

* * *

جلست (ماريانا) فى شرفة المزرعة ، تراقب (أدهم صبرى) ، وهو يؤدى صلاته فى خشوع ، وقلبها يخفق فى قوة ..

إنها تحبه ..

تحبه من أعمق أعماق قلبها ..

تحبه كما لم تفعل من قبل ..

ولكنها لم تكن تحلم برؤيته ثانية ..

لقد غادرت (كيواوا) فى المرة السابقة ، عندما اضطرتها الظروف لذلك ، وهى تسبح فى دموعها ، وقلبها يدمى ألمًا لفراقه ..

وفى (مكسيكو سيتى) ، ظلَّ قلبها حزينًا كسيرًا آسفًا ، على الرغم من مباهج المدينة ومتعها ، وعلى الرغم من نجاح والدها فى تجارته ، وازدهار أحواله المادية والمعنوية ..

ولم تمض ليلة واحدة ، دون أن تحلم بالعودة إليه ..

ولم يأت صباح واحد ، لم تبتل فيه وسادتها بدموعها .

وأخيرًا ، استسلم والدها لرجائها ودموعها ، وقرَّر العودة إلى (كيواوا) ..

وخفق قلبها فى عنف ، وهى تعود إلى مسقط رأسها ..

وطوال الأيام التى تلت لقاءهما ، كانت تفكِّر فى وسيلة

لمقابلته ، أو حتى مجرد رؤيته من بعيد ..
وكان الأمل يبدو بعيدًا .. بعيدًا ..
ثم فجأة ، وجدته أمامها ..
كان فاقد الوعى ، تسيل الدماء من إصابات متعددة فى جسده ، وإلى جواره جثة ذئب ضخم ..
وخفق قلبها فى عنف ..
بل صرخ فى فرح وسعادة ..
ودون أن تدرى ، وجدت نفسها تقفز من سيارة والدها ، وتحيط جسد (أدهم) بذراعيها ، وهى تصرخ ..
وامتزجت المشاعر فى أعماقها على نحو عجيب ..
كانت سعيدة لرؤيته ، ومذعورة لما أصابه ، وحزينة من أجله ..
كل هذا فى آن واحد ..
وعاونت والدها فى نقل (أدهم) إلى مزرعتهما ، وهى لا تصدّق نفسها ..
ها هو ذا أمامها ..
بين ذراعيها ..
وحتى هذه اللحظة ، وهى تراقبه ، لم تكن قد استوعبت الموقف تمامًا ، وأيقنت من أنه بالفعل إلى جوارها ..
وعندما انتهى من صلاته ، غمغمت :

ـ إنك لست يهوديًا ، فأنا أعرف صلاة اليهود .. رأيتهم يصلونها فى معبد صغير بالمدينة .
ابتسم ، وهو يقول :
ـ لست يهوديًا بالطبع .. أنا مسلم .
سألته وهى تراقبه مبهورة :
ـ وهل كل المسلمين مثلك ؟
تطلّع إليها لحظة فى صمت ، ثم أجاب :
ـ المفروض أن يكونوا كذلك .
تركها واتجه إلى البئر ، وألقى بعض الماء على رأسه ، ونفض شعره الأسود فى قوة ، ثم صفّفه بأصابعه ، وهو يقول :
ـ الطقس شديد الحرارة اليوم .
سارت إليه ، وسألته فى خفوت :
ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟
هزّ كتفيه ، وقال :
ـ هذا يتوقّف على المعلومات ، التى سيحصل عليها والدك .
قالت فى خجل :
ـ أقصد بشأن السنيورا والصغير .
شرد ببصره لحظات ، قبل أن يجيب :

- سأواصل البحث عنهما ، حتى أجد ابنى .
سألته بصوت مرتجف :
- أما زلت تحب السنيورا ؟
أقلقه سؤالها ، وحاول أن يبحث عن جواب لبق ، حتى لا يضاعف تعلقها به ، الذى يخشى كثيرًا من عواقبه ، ولكن أنقذه من حيرته ظهور سيارة (برونكو) ، فقال فى حماس ، وهو يشير إليها :
- لقد عاد والدك .
اقتربت سيارة (برونكو) بسرعة ، حتى توقفت أمام المزرعة ، وسأله (أدهم) فى اهتمام :
- هه .. ماذا لديك ؟
بدا وجه (برونكو) شاحبًا ، وهو يناوله حقيبة كبيرة ، قائلًا :
- ها هى ذى معظم المشتريات ، وستجد الصندوق الذى طلبته فى المقعد الخلفى .
سأله (أدهم) :
- وماذا عن المعلومات ؟.. هل توصلت إلى شىء ما ؟
ازداد شحوب وجه (برونكو) ، وهو يقول :
- نعم يا سنيور ، وما توصلت إليه خطير .. بل هو رهيب .. رهيب للغاية يا سنيور (أميجو) .
وتضاعف قلق (أدهم) ..

★ ★ ★

٩ - الحصـــار ..

استمع مدير المخابرات فى اهتمام بالغ ، إلى محدثه عبر الهاتف ، وتعلقت به أنظار مساعديه ومعاونيه ، وبخاصة (منى توفيق) ، التى خفق قلبها فى شدة ، والمدير يسأل :
- وماذا عن (أدهم) ؟
ثم عاد إلى صمته ، وهو يستمع إلى أحد رجاله ، فى محادثة هاتفية من (كيواوا) مباشرة ، و (منى) تهتف فى أعماقها :
- نعم .. ماذا عن (أدهم) ؟.. ماذا به ؟.. أهو بخير ؟.. لماذا لا يجيب اتصالاتى الهاتفية ؟.. أين هو ؟
ثم أنهى المدير المحادثة ، وقال :
- يبدو أن (أدهم) يواجه خطرًا حقيقيًا أيها السادة .
هوى قلب (منى) بين ضلوعها ، مع عبارة المدير ، فى حين شحب صوت أحد زملائها ، وهو يسأل المدير :
- ماذا حدث بالضبط يا سيدى ؟
أجابه المدير فى توتر :
- لقد حاول رجالنا الاتصال بمزرعة (أدهم) ، ولكنهم فشلوا تمامًا فى هذا ، فانطلق أحدهم بطائرة خاصة إلى هناك ، ولكن كانت فى انتظاره مفاجأة .

توقف المدير لحظة ، كادت (منى) خلالها تصرخ :

ـ أية مفاجأة .. أخبرنا بالله عليك .

إلا أنه تابع قبل أن تنطق هى بحرف واحد :

ـ لقد وجد المزرعة مدمّرة تمامًا ، وكل العاملين بها قتلى وصرعى ، وقد اشتعلت فيها النيران ، وأتت عليها تمامًا .

اتسعت عينا (منى) فى ذعر ، وهى تقول :

ـ وماذا عن (أدهم) ؟

التفت إليها المدير ، قائلًا :

ـ إنه لم يلق مصرعه ، وهذا ما تأكد منه رجالنا ، فقد قرّر البعض أنه دارت بينه وبين مجموعة من الرجال معركة عنيفة شرسة ، اختفى هو بعدها تمامًا ، وأصيب مطاردوه بالجنون ، وما زالوا يواصلون البحث عنه ، حتى هذه اللحظة .

تنفّست (منى) الصعداء ، وهى تقول :

ـ حمدًا لله .

وسأله أحد الرجال :

ـ وحتى يظهر (أدهم صبرى) ، ماذا نفعل بشأن المنظمة الجديدة ؟

أجاب المدير :

ـ سنضع (ناصر) تحت سيطرتنا هنا ، ونجعله يواصل عمله لحساب تلك المنظمة ، تحت سمعنا وبصرنا ، حتى نقرّر الخطوة التالية .

هبّت (منى) فجأة ، قائلة :

ـ سيّدى .. هل تسمح لى ...

قاطعها بإشارة صارمة من يده ، وتابع :

ـ أما بالنسبة للرائد (منى) ، فسنسند إليها مهمة السفر إلى (المكسيك) ، ومعاونة زميلها (أدهم صبرى) ، على مواجهة خصومه .

كان هذا بالضبط ما ستسأله إياه ، فهتفت فى سعادة :

ـ أشكرك يا سيّدى .. أشكرك كثيرًا .

حافظ المدير على صرامة ملامحه ، وهو يقول :

ـ ستستقلين طائرة الثامنة مساءً إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ومنها إلى (المكسيك) .. المهم أن تبلغى العقيد (أدهم صبرى) أننا نحتاج إليه بأسرع ما يمكن .

وتطلّع إلى ساعته ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ والآن هيّا .. أعدّى حقيبتك .. لم يعد أمامك الكثير ، قبل سفر الطائرة .

هتفت مرة أخرى :

ـ أشكرك يا سيّدى .. أشكرك .

وأسرعت تغادر الحجرة، وتستعد للطيران إلى (كيواوا)، لتنضم إلى (أدهم) فى معركته .. أو فى حربه ..

حرب (أدهم) الخاصة ..

★ ★ ★

نهض (خوان) ، حاكم (كيواوا) ، يستقبل (مايكل) فى حرارة ، وهو يقول :

- مرحبًا يا مستر (مايكل) .. مرحبًا بك فى (كيواوا) .. أخبرنى مدير مكتبى أنك موفد من قبل السنيورا (نورما كرينهال) .. أهذا صحيح ؟

أجابه (مايكل) :

- صحيح تمامًا أيها الحاكم ، والسنيورا (نورما) ترسل تحياتها ، وتؤكد أنها مازالت تذكر تعاونكما السابق (★) ، ولن تتراجع عن استثمار أموالها فى (كيواوا) .

هتف الحاكم (خوان) :

- عظيم .. عظيم تمامًا .. (كيواوا) مكان مناسب للاستثمار ، ولن تندم السنيورا أبدًا .

وضع (مايكل) أمامه حقيبة كبيرة ، وفتحها قائلًا :

- وها هى ذى الدفعة الأولى لاستثماراتها .. ربع مليون دولار أمريكى .

(★) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم ٨٤

برقت عينا الحاكم ، وسال لعابه مع مرأى المال ، وهو يهتف :

- رائع .. أؤكد لك أن السنيورا لن تندم أبدًا .

قال (مايكل) ، وهو يدفع الحقيبة نحوه :

- ولقد كلفتنى السنيورا إبلاغك ، بأن هذا المبلغ لك .. استثمره لحسابها كما يحلو لك .. وهى لا تريد إيصالًا به ، ولن يعنيها كثيرًا أن تخسره كله ؛ فهكذا الاستثمار .. ربح وخسارة .

قال عبارته الأخيرة بلهجة خاصة ، فهم الحاكم مغزاها على الفور ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يجذب الحقيبة فى لهفة ، ويضعها إلى جواره فى حرص ، قائلًا :

- يا لها من لفتة رقيقة من السنيورا !

ثم مال إلى الأمام ، وسأله فى وضوح وصراحة :

- وما الذى تطلبه السنيورا (نورما) فى المقابل ؟

أجابه (مايكل) مباشرة أيضًا :

- كل ما تطلبه هو أن تغضّ السلطات الرسمية فى (كيواوا) البصر ، عن بعض الصراعات الصغيرة ، التى تدور بينها وبين زوجها السابق (أميجو صاندو) .

تراجع الحاكم فى مقعده ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ السنيور (أميجو) رجل معروف هنا ، ولن يكون الأمر سهلًا .

ابتسم (مايكل) فى دهاء ، وهو يقول :

ـ هناك ربع مليون دولار أخرى ، بعد نهاية المشكلة .

اعتدل الحاكم على الفور ، وقال فى حسم :

ـ فلتعلم يا سنيور (مايكل) أن السلطات هنا لم تعتد التدخل فى أية مشكلة عائلية ، بين الزوجات وأزواجهن السابقين .

نهض (مايكل) ، وهو يقول :

ـ هذا ما توقعته .

وصافح الحاكم فى حرارة ، وانصرف وهو يبتسم فى ظفر ، مغمغمًا لنفسه :

ـ لقد كانت مسز (آرثر) على حق .. المال يفتح كل الأبواب .

ولكنه لم يكد يغادر مبنى الحاكم ، حتى تلاشت ابتسامته ، وحل محلها انطباع عصبى ، وهو يتلفت حوله فى توتر ، ثم يتجه إلى (برنارد) الذى استند إلى سيارته فى برود ، وقال له فى حدة :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟.. ألم أمنحك كل ما تريد .

أجابه (برنارد) فى هدوء :

ـ أردت إطلاعك على ما لدينا .

سأله (مايكل) فى عصبية :

ـ وماذا لديكم ؟.. أتعجز عن استكمال جيشك ؟

هز (برنارد) رأسه ، وقال :

ـ بل على العكس .. لقد حصلت بالفعل على مائة رجل ، يجيدون جميعًا استخدام السلاح .. لم أتصور أن الحصول عليهم سهل إلى هذا الحد فى (المكسيك) .

قال (مايكل) :

ـ ما الذى أتى بك إذن ؟

أجابه (برنارد) فى حسم :

ـ لقد عثرنا على الرجل .

انتفض جسد (مايكل) فى عنف ، وهو يهتف :

ـ حقًا ؟!.. هل رأيته بنفسك ؟

ابتسم (برنارد) ، وهو يقول :

ـ لا .. لم أره ، ولكننى شممت رائحته .

قال (مايكل) فى حدة :

ـ هل تمزح ؟

أجابه (برنارد) على الفور :

ـ مطلقًا .. لقد خرجت مع الهليوكوبتر لفحص المنطقة كالمعتاد ، وصحبنى (ماثيو) و (روكو) و (فيدوك)

في طائرة أخرى .. وفي أثناء تجوّلنا في المكان ، عبرنا فوق مزرعة كبيرة ، يمتلكها حاليًا رجل يُدعى (برونكوفيلا) .

ثم توقّف ليبتسم في سخرية ، وهو يسأل (مايكل) :

- لو أنك في موضع (برونكو) هذا ، ورأيت طائرتي هليوكوبتر تحومان فوقك ، فما الذي تفعله بشكل تلقائي ؟

أجابه (مايكل) :

- أشعر بالقلق ، وأتطلّع إليهما في ذعر وتساؤل .

قال (برنارد) :

- ولكن (برونكو) هذا لم يفعل .. وحتى ابنته لم ترفع رأسها ، لتلقي نظرة واحدة على طائرتي الهليوكوبتر ، على الرغم من الفضول المعروف عند كل امرأة في العالم .. لقد تحاشيا النظر إلينا تمامًا ، كما لو أنهما ..

هتف (مايكل) :

- كما لو أنهما يخفيان شيئًا .

ابتسم (برنارد) أكثر ، وهو يقول :

- بالضبط .

برقت عينا (مايكل) في حماس ، وهو يقول :

- وماذا تنتظر إذن ؟.. هاجم تلك المزرعة على الفور ، واسحق الرجل سحقًا .

أجابه (برنارد) :

- سأفعل يا مستر (مايكل) ، ولكن مع غروب الشمس .. سأقسم الجيش إلى أربع فرق ، يقود كل منها أحد رجالي ، ثم نهاجم المزرعة من كل الاتجاهات .

وتسلّلت وحشية عجيبة إلى صوته ، وهو يستطرد :

- وفي هذه المرة ، لن نترك ثغرة واحدة ينفذ منها ذلك الشيطان .. إنها نهايته هذه المرة يا مستر (مايكل) .. خذها كلمة مني .

* * *

« إنهم يحشدون كل قوتهم لمواجهتك » .

قال (برونكو) هذه العبارة بصوت مرتجف ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) ، قبل أن يواصل :

- إنهم يجمعون جيشًا كاملًا من الرجال ، وترسانة من الأسلحة ، والضابط (جوزيه) رئيس الشرطة يتجاهل هذا .. إنهم يعلنونها حربًا عليك يا سنيور (أميجو) .

ابتسم (أدهم) في هدوء عجيب ، لا يتناسب مع الموقف ، وهو يقول :

- اطمئن يا (برونكو) .. اطمئن .

هتفت (ماريانا) :

- ولكننا لا نملك سلاحًا لمواجهتهم .. حتى المدفع الآلي ، الذي عثرنا عليه إلى جوارك ، يخلو من الرصاصات تمامًا .

قال (أدهم) فى بساطة :

ـ وماذا عن تلك الأشياء ، التى ابتاعها والدك من المدينة ؟

قال (برونكو) مرتعدًا :

ـ أية أشياء؟!.. إنها بعض أدوات الزينة، وزجاجة من الجلسرين ، ولتر من الحامض ، ومائة زجاجة من بخاخات المبيدات الحشرية.. هل ستقاتل جيشًا كاملًا بهذه الأشياء .

هزّ (أدهم) كتفيه، وابتسم ابتسامة غامضة، وهو يقول :

ولمَ لا ؟

حدّق (برونكو) وابنته فى وجهه بدهشة ، ثم قالت (ماريانا) فى لوعة :

ـ ما رأيك لو سافرنا إلى منطقة أخرى ، متسترين بالظلام ، و ...

قاطعها فى صرامة :

ـ كلا .. قلت : إننى أنتظر هذه المواجهة .

ثم نهض ، مستطردًا :

ـ كل ما يمكننى فعله هو أن أنقل ساحة المعركة بعيدًا عنكما .

قال (برونكو) فى حسم :

ـ لا .. إنك لن ترحل .. سنواجه كل شىء معًا .

ظلّ (أدهم) صامتًا لحظات ، وهو يتطلع عبر النافذة ، إلى الصحراء الجبلية ، الممتدّة حتى آفاق البصر، ثم قال :

ـ فى هذه الحالة ، سيكون أمامنا عمل شاق .. شاق للغاية .

وعاد إلى صمته ..

* * *

كادت أصابع (سونيا جراهام) تعتصر سمّاعة الهاتف ، وهى تستمع إلى (مايكل)، الذى يتحدث إليها من (كيواوا)، والتقى حاجباها فى شدة ، وهى تهتف :

ـ عثرتم عليه ؟!.. ما الذى تعنيه بأنكم عثرتم عليه ؟.. ألم تتخلّصوا منه بعد ؟

أجابها (مايكل) متوترًا :

ـ لقد حدّد الرجال موقعه ، وهم يتعاملون مع الأمر بحذر ، بعد أن كلّفتهم المواجهة السابقة سبعة قتلى ومصاب .. لقد راقبوا المنطقة طويلًا ، حتى عثروا عليه فى مزرعة كبيرة، يمتلكها رجل يُدعى (برونكوفيلا)، و ...

قاطعته بصيحة هادرة :

ـ (برونكوفيلا) ؟!

سألها فى ارتباك :

ـ هل تعرفينه يا سيّدتى ؟

قالت فى مقت واضح :

- بالطبع .. أعرفه وأعرف ابنته الحقيرة .

ثم أضافت فى شراسة :

- اسمعنى جيدًا يا (مايكل) .. أريد أن تعد الرجال بمكافأة عشرة آلاف دولار لكل منهم ، لو ظفروا به .

أطلق (مايكل) شهقة قوية ، وقال :

- عشرة آلاف دولار ؟!.. ولكنهم مائة رجل يا سيدتى ، وهذا يعنى مليونًا .

صاحت فى غضب :

- لا شأن لك بهذا .. إنها نقودى أنا .. أنفقها كيفما أشاء .

قال متوترًا :

- فليكن يا سيدتى .. فليكن .. سأبلغهم ما تريدين .

حاولت تهدئة أعصابها ، إلا أنها لم تنجح فى هذا ، فسألته فى عصبية :

- وما الخطة التى وضعوها لاقتناصه ؟

أجابها بسرعة :

- يقول (برنارد) : إنهم سينقسمون إلى أربع فرق ، يقودها هو وثلاثة من رجاله المحترفين ، بحيث يتم الهجوم من أربع محاور ، و ...

قاطعته فى حدة :

- خطأ .. هؤلاء الأغبياء يتصرفون كما لو أنهم سيخوضون حرب عصابات .

سألها فى حذر :

- ماذا تقترحين إذن يا سيدتى ؟

أجابت فى صرامة :

- قل لهم أن يهاجموا من الغرب ، بحيث تكون الشمس فى وجهه ، وهم ينقضون عليه .. هذا يضعف من قدرته على التصويب ، على أن يعدوا فرقة خاصة ، لمباغتته من الشرق ، فور اختفاء الشمس خلف الجبال .. وعليهم أن يستخدموا طائرتى الهليوكوبتر كغطاء جوى ، وأن يحملوا فى هجومهم مدافع (بازوكا) محمولة .

هتف فى دهشة :

- يا للشيطان !.. إنك تجعلينها حربًا يا سيدتى .

أجابته محتدة :

- إنها كذلك أيها الغبى .

ثم أضافت فى انفعال :

- ومُرْ الرجال بالقضاء على الجميع .. (أميجو) و (برونكو) وابنته .. أريدهم أن يحوّلوا تلك المزرعة أيضًا إلى هباء منثور .



فنفثت دخان سيجارتها فى حدة ، قائلة :

ـ لقد حانت اللحظة التى أنتظرها يا ولدى ..

غمغم ، وقد روّعه كم الشر فى طبيعتها :

كما تأمرين يا سيّدتى .

قالت فى حدة :

ـ واخبرنى بالتفاصيل والنتائج .. أوّلا فأولا .

وأنهت المحادثة فى عنف ، ثم التقطت علبة سجائرها ، وأشعلت منها سيجارة فى عصبية ، وهى تقول :

ـ لا ينبغى أن يفلت هذه المرة .. إنها فرصة لا يمكن تكرارها .

وعبر نافذة حجرة مكتبها ، وقع بصرها على الصغير ، ومربيته تداعبه فى حنان ، فنفثت دخان سيجارتها فى حدة ، قائلة :

ـ لقد حانت اللحظة التى أنتظرها يا ولدى .. لحظة انتقامى من والدك ، الذى تركنى وهرع إلى امرأة أخرى .. وفى نفس اللحظة ، سأعلن مولد أعظم منظمة جاسوسية حرّة فى التاريخ .

وبرقت عيناها فى شراسة ، مستطردة :

ـ منظمة (سناك) .

ونفثت الدخان من فمها كبركان ثائر ...

* * *

تحرَّك ذلك الجيش الصغير فى حذر ، ليحاصر مزرعة (برونكوفيلا) ، ورفع (برنارد) منظاره المقرِّب ، ليراقب المزرعة من خلف التلال ، وهو يسأل (فيدوك) فى اهتمام :

ـ ماذا وجدت ، فى فترة المراقبة ؟

أجابه (فيدوك) :

ـ لقد رأيته .. كان يزرع الحقول المحيطة بالمزرعة .

عقد (برنارد) حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة تمتزج بالشك :

ـ يزرع ماذا ؟.. أى قول هذا ؟

هزَّ (فيدوك) كتفيه ، وقال :

ـ هذا ما رأيته بالضبط .. لقد انهمك مع الكهل والفتاة فى زراعة الحقول ، وكان باستطاعتى إطلاق النار عليه من هنا ، وإصابته مباشرة ، لولا أوامرك بعدم التحرُّك ، قبل الهجوم الرئيسى .

ظلَّ (برنارد) يعقد حاجبيه بعض الوقت ، ثم قال :

ـ لا يروق لى أبدًا ما فعله ذلك الرجل .. ربما كان يزرع ألغامًا .

قال (فيدوك) فى استهجان :

ـ ومن أين له بالألغام ؟

مطَّ (برنارد) شفتيه ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. ولكن هذا الأمر لا يروق لى قط .

قلب (فيدوك) شفته السفلى فى ضجر ، ثم قال :

ـ الشمس تميل إلى المغيب .

تطلَّع (برنارد) إلى ساعته ، وقال :

ـ سنبدأ الهجوم بعد سبع دقائق بالضبط ، وسيبدأ (روكو) و (ماثيو) هجومهما بعد عشر دقائق ، فى أثناء انشغال ذلك الشيطان بصد هجومنا ..

وجذب إبرة مدفعه الآلى ، وهو يشير إلى الرجال الخمسين ، الذين افترشوا الجبال ، وكل منهم يحمل سلاحه ، استعدادًا للمعركة ، وقال :

ـ استعدوا .

وبإشارة من يده ، أسرع راكبو الهليوكوبتر إلى الطائرتين ، وبدأت مراوحهما تدور ، والرجال داخلهما يحملون مدافعهم الآلية فى تحفز و ترقُّب ، و (برنارد) يراقب ساعته ، ثم قال :

ـ الطائرتان أوَّلًا .

ارتفعت طائرتا الهليوكوبتر ، وانطلقتا نحو المزرعة ، ثم انقضتا عليها من الشمال والجنوب ..

وفى المزرعة ، أمسك (أدهم) بندقية (برونكو) ،

وراح يحشو خزانتها بالرصاصات ، فارتجف (برونكو) ، وقال :

ـ هل ستواجه جيشًا ببندقية ؟

أجابه (أدهم) بابتسامة ساخرة :

ـ لدينا ذخيرة كافية .. أليس كذلك ؟

ارتجف (برونكو) ، وهو يقول :

ـ فليرحمنا الله .

أشار إليه (أدهم) ، قائلًا :

ـ والآن الحق بابنتك ، واختفيا تمامًا ، حتى ينتهى الأمر .

ترقرقت فى عينى الرجل دمعة كبيرة ، وهو يقول :

ـ سنيور (أميجو) .. إننى ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، بدأ إطلاق النيران ..

وانهالت الرصاصات ، من طائرتى الهليوكوبتر ، كالمطر ، على سطح المبنى ونوافذه ، وتهشمت النوافذ بدوىّ مروّع ، فصاح (أدهم) :

ـ الحق بابنتك يا رجل .

ثم رفع فوهة بندقيته ، نحو طائرة هليوكوبتر تنقضّ عليه ، وأطلق النار ..

ومع دوىّ رصاصاته ، بدأ (برنارد) ورجاله هجومهما ..

لحظتها فقط ، أدرك أنه يواجه جيشًا منظمًا ، لا مجرّد عصابات عشوائية متعطشة للدماء ..

وكان هذا يعنى أن كل ما مرّ به ، منذ وصل إلى (كيواوا) كان مجرّد تمهيد للصراع الحقيقى ..

الصراع الوحشى ، الذى يحتاج منه إلى القتال بكل ما يملك من قوة ..

لو أن هذا يكفى .

* * *

[انتهى الجزء الأوّل بحمد الله]

ويليه الجزء الثانى

(الصراع الوحشى)

كتيبة الدمار

- كيف يواجه (أدهم صبرى) دستة من المقاتلين ، وهو أعزل تقريبًا ؟
- من أطلق النار على (قدرى) ، فى مبنى المخابرات العامة المصرية ؟.. ولماذا ؟
- تُرى هل يستطيع (أدهم) التصدى وحده لجيش (سونيا جراهام) ، أم تهزمه (كتيبة الدمار) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) ..



المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



٩٤

الثمن فى مصر
١٠٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : الصراع الوحشى